الخميس 3 آب 2023
العدد 4976 السنة السابعة عشرة
Jeudi 3 AOÛT 2023 nº 4976 17ème année

20 صفحة
50000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

قضايا

جيوبوليتيك الذكاء الاصطناعي
عصر الثورة الرابعة

15 ـ 12

ميقاتي يبتزّ المجلس: لا رواتب ولا دواء آخر الشهر [2]

من يكبح جماح «فتح» في عين الحلوة؟ [4]

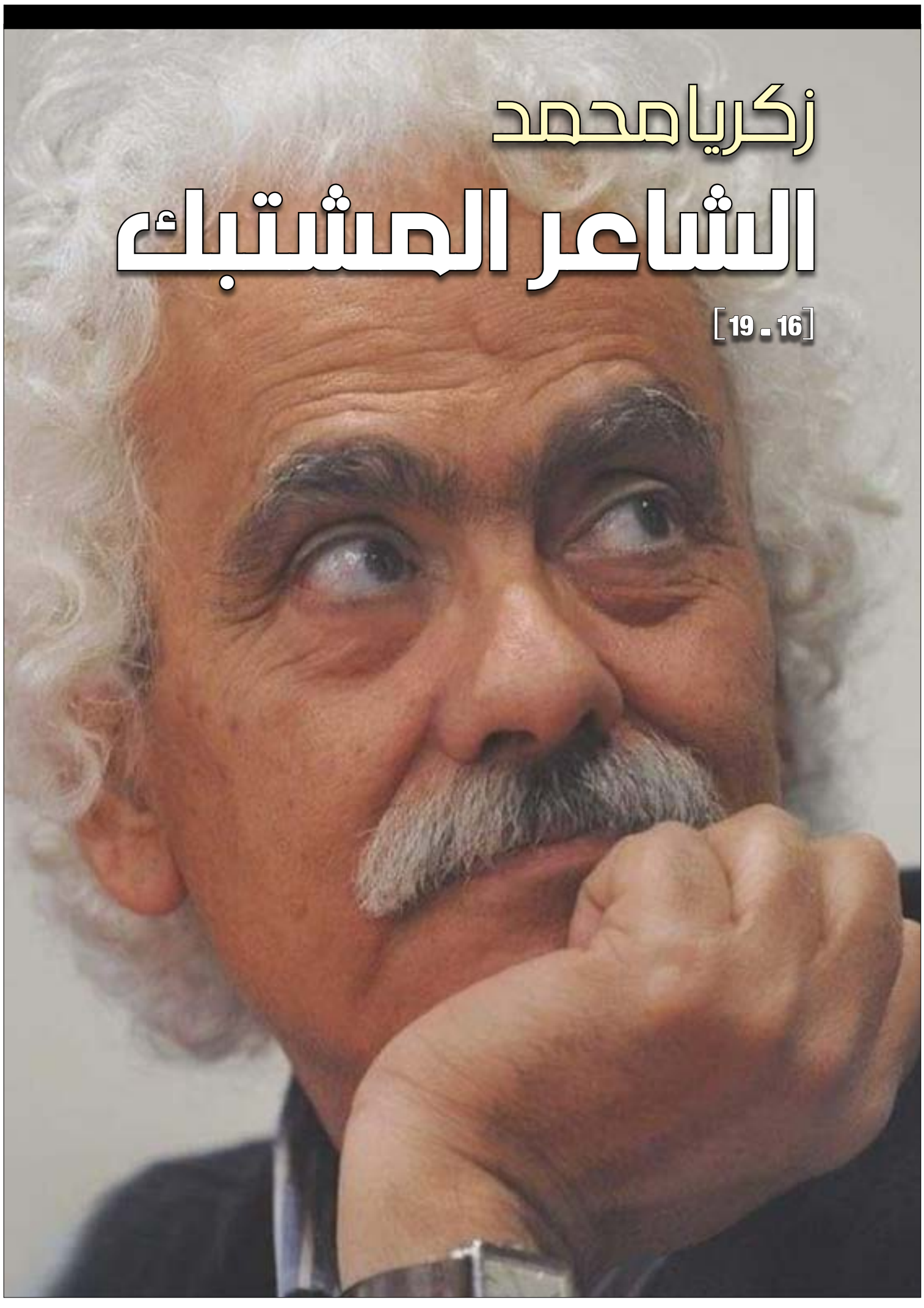

زكريا محمد
الشاعر المشتبك

[16 ـ 19]

فلسطين

«بروفة» اقتتال داخلي في جنين
7

02
تقرير

المجلس الشرعي
منازلة بين الحريري والسنيورة

06
تقرير

مزايدة البريد
هكذا فُصّلت «على القياس»

08
تقرير

الرياض – تل أبيب
عقبات على طريق التطبيع

10
تقرير

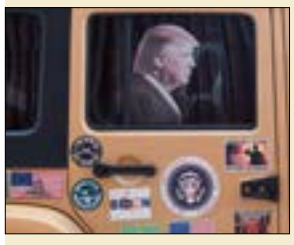

ترامب يواجه محاكمته الثالثة
المهزلة الأميركية في أوجها

المشهد السياسي

رئيس الحكومة ينقل الجلسات الوزارية إلى الصروح الدينية!

ميقاتي يبتزّ المجلس: لا رواتب ولا دواء

أطلق رئيس حكومة تصريف الأعمال نجيب ميقاتي فصلاً جديداً من فصوله المثيرة للجدل. فبعد زيارة قام بها إلى البطريرك بشارة الراعي مع وفد ضمّ الوزراء: نجلا رياشي، أمين سلام، جورج بوشكيان، محمد مرتضى، جورج كلاس، الوزير السابق نقولا نحاس والمستشار السفير بطرس عساكر، أعلن عن «اقتراح لعقد لقاء للوزراء في الديمان الثلاثاء المقبل للبحث في المخاطر التي تتهدّد جميع اللبنانيين وبلورة كيفية مواجهتها». بهذا المعنى، لم يكتفِ ميقاتي بتنصّله من الوعد الذي قطعه لنواب حاكم مصرف لبنان بتسريع إعداد مشروع قانون خاص لتغطية الصرف من الاحتياط الإلزامي، وذلك ضمن آليات السداد

عين التينة: اقتراح تشريع الاقتراض لن يمرّ عبر مجلس النواب

وتواريخها رامياً المسؤولية على مجلس النواب، بل قرّر أيضاً ابتداع عرف جديد من خلال عقد اجتماعات للحكومة في صروح دينية بخلاف ما ينصّ عليه اتفاق الطائف الذي حدّد المقر الخاص لانعقاد الجلسات، وقد يضطر لاحقاً إلى عقد اللقاءات مرة في دار الفتوى، وأخرى في المجلس الشيعي وبعدها في دار طائفة الموحّدين الدروز لمراعاة التوازن.

يعبّر هذا الاتجاه، أولاً عن استنفاد ميقاتي كل الأساليب لإحراج الوزراء المسيحيين الذين يقاطعون جلسات الحكومة ودفعهم إلى المشاركة مجدداً، فقرّر محاصرتهم بمباركة روحية مسيحية من البطريرك «تشرّع» جلساته في ظل الفراغ الرئاسي. وهو سعى جاهداً إلى نفي التهم عن نفسه في ما يتعلق بالتعدّي على صلاحيات رئيس الجمهورية قائلاً إنه «ليس لدينا أي طموح لأخذ صلاحيات أحد. والمراسيم التي وقّعناها هي لتسيير أمور الدولة وليس فيها أي تمييز بين فئة وأخرى».

ورغم التوضيح الذي صدر عن مكتبه الإعلامي، بأن «لا دعوة لجلسة وزارية بل إلى لقاء وزاري تشاوري»، قالت أوساط سياسية إن خطوة ميقاتي «خلقت بلبلة في قلب الديمان ولدى القوى السياسية»، فهذه اللقاءات «غير دستورية وغير قانونية وهناك مكان واحد على الوزراء أن يجتمعوا فيه هو السراي الحكومي، وما من مبرر أمني أو سياسي يمنع ذلك»، ومن الواضح أن «ميقاتي يريد أن يبيع الراعي موقفاً من جهة ويحقق هدفاً في مرمى الجهة الحكومية المقاطعة»، مستغربة «هذا النوع من الورطات التي يُغرق الحكومة فيها والآخرين».

(دالاتي ونهرا)

ووفق المعلومات، لا يزال الوزراء المقاطعون مصرّين على موقفهم، وهم لن يحضروا أي لقاء وزاري، لا في الديمان ولا في أي مكان آخر. وهم يعتبرون أنها ليست المرة الأولى التي يحاول فيها ميقاتي «جزهم» لكسر المقاطعة وتسجيل نقاط على رئيس «التيار الوطني الحر» النائب جبران باسيل. وقالت مصادر وزارية إنه «لا يجوز القبول بهذا الاقتراح والتعامل معه باعتباره أمراً طبيعياً لئلا يصير عرفاً».

وفي اتجاه آخر، حاول ميقاتي من الديمان توجيه «تهديد» في إطار الضغط على النواب من أجل «تشريع» اقتراض الحكومة، عندما تحدّث عن أنه «مع نهاية هذا الشهر لا نستطيع تأمين الدواء ولا الرواتب بالعملة الأجنبية ولا نستطيع القيام بالعمل اللازم للاستقرار النقدي، وبالتالي هذا الأمر لا يهمّ الحكومة وحدها بل يعني مجلس النواب وجميع اللبنانيين، وعلينا العمل كورشة واحدة لإنقاذ البلد. فالحكومة لا تستطيع أن تصدر قانوناً ولكن يمكن أن تطلب من المجلس النيابي السعي الجدي لقبول اقتراح قانون وإقراره في أسرع وقت ممكن».

وبينما هدف ميقاتي من هذا الكلام إحراج مجلس النواب أيضاً، وجعله الجهة التي تحمل كرة النار هذه، جاءه الردّ من النائب علي حسن خليل الذي قال إن «هناك خشية من عدم قدرة الحكومة على سداد القرض». وقالت مصادر عين التينة إن «رئيس مجلس النواب نبيه بري لا يزال مصراً على أن الحكومة هي من يجب أن تؤمّن الحماية القانونية لنواب الحاكم» مستبعدة «مرور هذا الاقتراح في مجلس النواب»، خاصة أن «غالبية الكتل النيابية لا تؤيّده». (الأخبار)

ملف سلامة: الدولة اللبنانية تطلب مساعدة قضائية فرنسية

في تطوّر لافت في التحقيقات اللبنانية مع الحاكم السابق لمصرف لبنان رياض سلامة، طلبت المدّعية، الدولة اللبنانية، المساعدة القضائية من القضاء الفرنسي، وضمّ نسخة عن ملفّ التحقيقات التي أجراها في بلاده أو من خلال تنفيذ القضاء اللبناني الاستنابات القضائية الصادرة عن القضاء الفرنسي الذي استجوب سلامة وشقيقه رجا ومساعدته ماريان الحويك وآخرين في قصر عدل بيروت.

وبحسب معلومات «الأخبار» فإنّ الدولة اللبنانية ممثّلة برئيسة هيئة القضايا في وزارة العدل القاضي هيلانة اسكندر، قدّمت بواسطة وكيلتها القانونية المحامية برتا نعيم إلى قاضي التحقيق الأوّل في بيروت بالإنابة شربل أبو سمرا، مذكّرة مؤلّفة من صفحتين عطفاً على المذكّرة السابقة المقدّمة منها في 24 تموز الماضي ضدّ الأخوين سلامة والحويك.

وتتضمّن المذكّرة إشارة إلى أنّ الدعوى الحاضرة تتناول التحقيق مع الأشخاص أنفسهم المدّعى عليهم في ملفّ القضاء الفرنسي والجرائم نفسها المدّعى بها، وأنّ ملفّ التحقيق لدى القضاء الفرنسي يتضمّن وقائع ثابتة ومستندات غير موجودة في الملفّ الحاضر، من شأنها التأثير في مجريات الملفّ وإنارة التحقيق. لذلك، «تطلب الدولة اللبنانية المساعدة القضائية من القضاء الفرنسي وضمّ نسخة عن ملفّ التحقيقات التي أجراها في فرنسا أو في لبنان مع كامل المرفقات المتعلّقة بموضوع التحقيقات» أمام أبو سمرا.

تقرير

منازلة بين الحريري والسنيورة في انتخابات «المجلس الشرعي»

(هيثم الموسوي)

لينا فخر الدين

دعا مفتي الجمهوريّة الشيخ عبد اللطيف دريان، أول من أمس، الهيئات الناخبة إلى انتخاب أعضاء المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى في كلّ الأقضية والمحافظات في الأول من تشرين الأوّل المقبل. ويؤكد مطّلعون أن دعوة دريان بعد رفضه التمديد للمجلس الحالي، تأتي على خلفية رغبة رئيس الحكومة السابق، رئيس تيار المستقبل، سعد الحريري، في انتخاب مجلس جديد سيكون جزءاً من الهيئة الناخبة التي ستختار خلفاً لدريان مطلع عام 2025، بدلاً من المجلس الحالي الذي يُسيطر الرئيس فؤاد السنيورة على أكثريّة الثلثين فيه.

في المقابل، تشير مصادر أخرى إلى أن إصرار المفتي يأتي بإيعاز سعودي، وخصوصاً أن الدعوة أتت بعد أيّام قليلة على إقامة السفير السعودي وليد البخاري عشاءً تكريمياً لدريان، وما ينقل عن سفير المملكة في مجالسه بضرورة «نفض» الطاقم السني القديم.

وبغضّ النظر عن خلفيات الدعوة، استبقت القوى السياسيّة بيان دريان، وبدأت منذ أسابيع تحضير الماكينات الانتخابيّة وعقد جلسات للبحث في التحالفات المرتقبة، تمهيداً للمنازلة بين الحريري والسنيورة.

وتؤكد مصادر أنّ هاشميّة سيكون وجهه مكلّفاً بمتابعة ملف «الشرعي» في المستقبل، ولا سيّما في بيروت، فيما تشير مصادر أخرى إلى «تنسيق بين الأحمديْن» في هذا الملف، مشيرة إلى زيارة الأمين العام لـ«المستقبل» لدار الفتوى أمس على رأس وفد كبير يضمّ مقرّبين من هاشميّة.

لتيار المستقبل أحمد الحريري حركاته، بدأ السنيورة فتح خطوط مباشرة مع الجمعيّات الإسلاميّة للتحالف معها أو حتّى اختراقها، وخصوصاً أنه يُدرك أنّ حظوظه قليلة في الهيئة الناخبة الحاليّة، ويحاول الإفادة من تضعضع تيّار المستقبل الذي لن يكون قادراً، كما في الماضي، على السيطرة على غالبيّة المجلس المُنتخب.

تقرير

الحوار الجديد ينطلق من ورقة الأولويات

تفاهم حزب الله - التيار وحده لا يكفي

غسان سعود

في الأيام القليلة الماضية، اجتاز رئيس حزب التيار الوطني الحر جبران باسيل الصعب: لم يقسّط موقفه أو يموّهه، ولم يسرّبه يميناً ويساراً لجس النبض، أو يمهّد له باجتماعات مكثّفة مع النواب والقياديين والناشطين، ولم يفتح باب التجارة السياسية المشروعة، أو ينتظر - على الأقل - أن ترسو النقاشات مع حزب الله على برّ أولاً. لعبها على طريقة الرئيس ميشال عون حين يقتنع بأمر ما. عندما قرّر الأخير الدخول في تفاهم 6 شباط 2006، لم يوزع استمارات على المناصرين والمحازبين، ولم يعبأ بما سيقوله السفراء والمحللون. على المنوال نفسه، اختار باسيل في مقاربته الأخيرة هذا النموذج غير المألوف في الحياة السياسية اللبنانية: أن تقود بدل أن تُقاد خلف الإعلام المُسيطر عليه والذي يزرع في رؤوس الجماهير ما يريده، فتلتبس المصلحتان العامة والخاصة، ويتقدّم الانفعال على العقل.

بدل العودة خطوات (وعقوداً) إلى الوراء، إلى حيث لا يزال كثيرون يعيشون، رغم تبدّل كل الظروف والمعطيات، وعوض أن يحذو حذو من يجدهون في أماكنهم منتظرين «التعليمة» الخارجية، يؤثر باسيل الحركة الدائمة بحثاً عن ثغرة ما. في العلاقة بين التيار والحزب، لم يكن هناك التباس، ولو للحظة، لديه أو لدى قيادة الحزب. كان نائب البترون، دائماً، واضحاً وقاطعاً بأن لا تغيير في التموضع الاستراتيجي الذي أرساه الرئيس ميشال عون ودفع هو (باسيل) ثمناً باهظاً له عقوبات وشيطنة استثنائية لم يتعرّض لها سياسي لبناني من قبل. لكنه، بالمقدار نفسه، كان واضحاً وقاطعاً أيضاً بأنه ليس ممن ينفّذون ثم يعترضون أو يقال لهم سيروا فيسيرون. رغم الانفعالات التي حكمت الجميع، واصل التأكيد في مجالسه، الخاصة والأوسع قليلاً، أنه لا يندخع بمواقف أطراف دولية وإقليمية (جرّبها أسلافه من السياسيين المسيحيين آلاف المرات ودفع مجتمعهم ثمن خياراتهم الخاطئة)، وأن أولويته ستبقى تطوير التفاهم، لا تحويله إلى تبعية سياسية عمياء يخسر التيار من رصيده من دون أن يحقق له ولمجتمعه أي مقابل. وفي المقابل، واصل الحزب - على مستوى قيادته العليا - التأكيد أن الخلاف مع التيار غيمة صيف، ولا بد من أن تعود المياه إلى مجاريها عاجلاً (قبل الانتخابات الرئاسية) أو آجلاً (بعدها).

ومع التداخل الطبيعي بين جمهوري الحزب والحركة و«شطحات» إعلاميين مقربين من الحزب، كان الحزب يتدخل بالمباشر مع هؤلاء لطلب التهدئة.

قبل كلام باسيل الذي فتح ثغرة نهاية الأسبوع الماضي، ثمة سباق لا يمكن القفز فوقه. منذ أكثر من ستة أشهر، أعدّ التيار ورقة الأولويات الرئاسية التي جال نوابه بها على كل الكتل والأفرقاء، باستثناء كتلة سمير جعجع. وفي وقت كان فيه رئيس تيار المردة سليمان فرنجية يوحي، في مقابلاته التلفزيونية، بأن باسيل يريد مقاسمته التعيينات طمعاً بالاحتفاظ برئاسة مجلس إدارة كازينو لبنان أو مصلحة مياه بيروت وجبل لبنان، مثلاً، كان رئيس التيار يجيب الحزب دائماً، رداً على السؤال المتكرر عما يريده: «لا يهمّنا شيء من هذا كله. عليكم بورقة الأولويات الرئاسية»، وهي الورقة التي حملها إلى الدوحة مراراً، وإلى باريس مرتين.

مع نجاح باسيل في عرقلة تقدم فرنجية نحو الرئاسة، كان يفترض بالقرينين والأميركيين وعموم المؤتمرين بأوامر السفارة الأميركية في بيروت أن يلاقوه في منتصف الطريق على ورقة سياسية تتضمن إصلاحات تشريعية ومالية وبنيوية. غير أن همّ هؤلاء، كالعادة، كان في مكان آخر: تسجيل نقطة سياسية على حزب الله تتمثل بمنع انتخاب مرشحه رئيساً ونقطة على السطر: لا مشروع سياسياً بديلاً، ولا إصلاحات مالية واقتصادية وسياسية، ولا تطوير للنظام أو غيره. قبل شهرين، تحدّث باسيل في مقابلة تلفزيونية عن اللامركزية والصندوق الائتماني و«البرنامج» كمقدمة للبحث السياسي في اسم الرئيس، وبيّنت جلسة انتخاب الرئيس في 14 حزيران الماضي والمشاورات المتواصلة بين التيار وأفرقاء في الداخل والخارج، أن قلّة قليلة من النواب التغييريين والمستقلين تملك شجاعة مقاربة المشاكل الحقيقية والبحث عن حلول تشريعية لها. فاكتُفِيَ هؤلاء لا تريد من الانتخابات الرئاسية والاستحقاقات الأخرى سوى تسجيل انتصارات سياسية يدفع المواطن واللوطن ثمنها.

مع تمسّك التيار بعدم دعم مرشح من صفوفه، وجد نفسه أمام مرشحين، سواء سليمان فرنجية أو جوزف عون أو جهاد أزعور، لا يجرؤ على أن يقول لجمهوره (والراي العام) إن أياً منهم يمثل تطلعاته أو يتناغم مع خطابه. في هذه اللحظة، ومع تزايد اليقين بعبثية الحوار مع أفرقاء في الداخل والخارج لا يريدون إصلاحاً أو تغييراً وإنما فقط تسجيل نقاط على حزب الله. ومع تفاقم الشعور بأن العونيين مخيّرون بين السيئ والأسوأ، عاد الحوار مع الحزب لينطلق من ورقة الأولويات الرئاسية التي تتضمن، إلى اللامركزية الإدارية والصندوق الائتماني، الكثير من الملفات الرئيسية التي لا تسمح الظروف بوضعها كلها على طاولة الحوار الحالي. ساعد في عودة التيار والحزب إلى منطقة التفاهم، أن التباعد كان مناسبة لتتيقّن حارة حريك بأن الرابية أقرب إليها من باريس والرياض، وليتأكد التيار أن الغرب لا يتقن غير لغة الفرض والتهديد والوعيد رغم لياقة الديبلوماسية القطرية.

(هيثم الموسوي)

الحوار القائم اليوم بين التيار والحزب سريع وإيجابي جداً لكنه أمام تحديات كبيرة جداً أيضاً

الحوار القائم اليوم بين التيار والحزب سريع وإيجابي جداً لكنه أمام تحديات كبيرة جداً أيضاً

الاستراتيجي ثابتاً وراسخاً: تفاهم على حماية لبنان وتكريس الشراكة التي لا تسمح باستبعاد أي مكوّن لبناني، وهذا ما يمكن الاتفاق على آلياته بسرعة. أما بقية الملفات اليومية الصغيرة، فيجب أن تبتّ بالمفرق، بحسب ظروف ومقاربة كل منهما، بعيداً عن الحساسيات العاطفية والانهيارات والجنون الجماهيري. وبين هاتين الطبقتين، الأساسية والعادية، طبقة جديدة من القضايا هي موضع النقاش اليوم، مثل اللامركزية والصندوق الائتماني، مما هو أقل من استراتيجي وأكثر من عادي.

هنا، تنبغي الإشارة إلى أن التجارب السابقة بيّنت أن تفاهم الحزب والتيار وحدهما على قضية ما قد يبقيها حبراً على ورق، كما هي حال بنود عدة في تفاهم 6 شباط. لذلك، المطلوب تفاهم أكبر يشمل أفرقاء آخرين يمكن لكل من التيار والحزب إقناعهم لتأمين الأصوات اللازمة لإقرار التشريعات اللازمة لهذه القضايا. ما سيكتب هذه المرة - إذا قدّر للتفاهم الجديد أن يبصر النور - لن يشمل النوايا الحسنة للفريقين بشأن القضايا المطروحة، بل ما نجحا في تحويله إلى مشاريع قوانين وربما إقراره في مجلس النواب. وهذا ما يتطلب آلية عمل مختلفة بالكامل، علماً أن الفريقين، عند إعداد تفاهم 6 شباط، لم يكونا بعيدين عن هذا الطرح، إذ سارع التيار يومها إلى عقد تفاهمين إضافيين مع كل من الحزب الشيوعي والتنظيم الشعبي الناصري، لكن عدم المتابعة والانشغال بالأحداث اليومية المتلاحقة حالا دون تفعيلها أو توسيع التفاهم الذي يمكن أن يكون كل من البطريركية الماروني والنائب السابق وليد جنبلاط وحزب الكتائب شركاء أساسيين في مروحته الواسعة اليوم، وخصوصاً في ما يتعلق باللامركزية الإدارية والصندوق الائتماني.

ما كرّره باسيل ثلاث مرات في نهاية الأسبوع الماضي لا يحتمل التأويل: يقبل بفرنجية رئيساً مقابل إقرار القوانين التطبيقية للامركزية الإدارية المالية والصندوق الائتماني والاتفاق على برنامج عمل أولي حول القوانين الاصلاحية للعهد المقبل. في التكتيك السياسي، كان يفضل إبقاء هذا كله قيد الكتمان ريثما تنضج الطبخة أو تحترق، لكن باسيل، كما كان واضحاً من خطاباته، لا يريد حواراً تحت الطاولة أو بعيداً عن الأنظار، بل يريده استفتاءً عاماً: يريد اللبنانيون رئيساً أيّاً كان اسمه من دون تغيير أو تعديل في المشاكل البنيوية للنظام اللبناني، أم رئيساً أيّاً كان اسمه مع «حلول» للمشاكل البنيوية؟ وهو يفترض أن جلوسه والحزب أمر أساسي، لكنهما وحدهما لا يكفيان، وينبغي توسيع دائرة المصارحة.

بعد عام 2005 كان همّ الداخل والخارج إقصاء حزب الله وعزله. التقط الرئيس ميشال عون اللحظة رافضاً عزل أو إقصاء أيّ مكون، فكان التفاهم مع الحزب أشبه بكسر مباشر لاستراتيجية عزله وإقصائه. لكن العماد عون عرف كيف يبني على هذه الفرضية خطاباً شعبوياً يركّز على تصحيح التمثيل السياسي - النيابي والوزاري والرئاسي - للمسيحيين، فلم تعد المعركة ضد الإقصاء والعزل معركة شيعية كما كانت حتى اتفاق الدوحة، بل تحوّلت إلى معركة مسيحية - شيعية. اليوم، أيضاً، ثمة لحظة يسود فيها إجماع داخلي خارجي على أن انتخاب الرئيس لن يقدم أو يؤخر بشيء طالما أن النظام «مكربج» والدولة (لا السلطة) منهارة بالكامل، ولا نية لدى أحد لإنقاذ ما يمكن إنقاذه. في هذه اللحظة، يمكن الاستسلام لمنطق الخنادق، أو يمكن البحث عن مخارج، ليس لفريق أو شخص، بل للبلد ككل.

قضية اليوم

الجيش لن يتورّط في عين الحلوة
هجوم «الفرصة الأخيرة» لفتح

(علي حشيشو)

أماك خليك

إلى نقطة الصفر، عادت الأوضاع في مخيم عين الحلوة ليل أمس في واحدة من أكثر جولات الاشتباك عنفاً بين فتح والإسلاميين منذ ليل السبت. وتصديقاً للمعطيات التي تحدّثت عن أن الحركة لن تسمح بإنهاء المعركة من دون تحقيق نتيجة تعوّض خسارتها البشرية والمادية طوال أيام القتال الخمسة، نفّذت قوات الأمن الوطني الفلسطيني بعيد العاشرة ليل أمس هجوماً بالقذائف الصاروخية على معاقل الإسلاميين، ما أدى إلى اندلاع اشتباك متبادل وصلت شظاياه إلى حي التعمير اللبناني ومحيط

> **أدت الاشتباكات الليلية الى مقتل اثنين من «فتح» وإصابة العشرات**

المخيم وثكنة محمد زغيب ومسجد الموصلي المحتكّ بالنازحين.

وفي التفاصيل، فإن من بدأ الجولة الأخيرة من المعركة هم من كانوا قد بدأوها ليل السبت الماضي. مقاتلون من آل زبيدات تزوّدوا بالأسلحة من خارج المخيم وأطلقوا القذائف قبل أن تؤازرهم وحدات من «الأمن الوطني». وقصفت مراكز فتح في جبل الحليب المشرف على المخيم حيّي حطين والطوارئ بشكل خاص، وأصابت القذائف مسجد زين العابدين التابع لـ«عصبة الأنصار» الإسلامية، ما دفع مقاتليها للرد على مصادر النيران. وانتشر مقاتلو فتح ميدانياً في محيط معاقل العصبة والحركة الإسلامية المجاهدة. وأدّت المعارك حتى منتصف الليل إلى مقتل اثنين من مقاتلي فتح وإصابة العشرات بينهم مسؤول اللجنة الأمنية أبو خالد معاذ.

الهجوم المضاد لفتح كان منتظراً، إذ إن عدداً من مقاتليها خرقوا الهدنة النهارية في البراكسات والرأس الأحمر رغم عودة بعض النازحين لتفقد الأضرار.

الهدنة الهشة أثارت التساؤلات عن احتمال تدخل الجيش اللبناني في المخيم في وجه بقايا «جند الشام» و«الشباب المسلم» وعناصر «داعش» و«جبهة النصرة» المتمركزين بشكل خاص في الطوارئ عند أطراف المخيم، بعدما استقدم تعزيزات إلى محيط المخيم وبلدة مغدوشة المشرفة عليه.

مسؤول عسكري أكد لـ «الأخبار» أن «لا خطة لدى الجيش للتدخل في عين الحلوة أو التقدم شبراً واحداً عن الحدود المرسومة حالياً». وتستند اليرزة إلى اعتبارات عدة، أولها الاصطفاف اللبناني - الفلسطيني الذي سينشأ كرد فعل على دخول الجيش إلى المخيم كما حصل إبان أحداث مخيم نهر البارد. «حتى الذين يطالبوننا بالتدخل لحسم المعركة واجتثاث الإرهابيين، سيقفون ضدنا لاحقاً في حال وقوع خسائر بشرية ومادية»، خصوصاً أن احتمال الضرر كبير جداً بالنظر إلى تجربة التعمير عام 2007، إذ إن نسبة الاكتظاظ السكاني عالية ومعدلها حوالي 13 شخصاً في المتر المربع الواحد. فيما الأبنية معلقة فوق بعضها في مساحة لا تزيد على كيلومترين فقط. غلقت آمال الدولة على قدرة فتح على ضرب الإسلاميين في عقر دارهم. لكن نتيجة المعركة أظهرت فشلاً عسكرياً تسبب بسقوط ضحايا كثر ودمار كبير، ما أجبر الدولة والجيش على الدفع نحو وقف النار حقناً لمزيد من الدماء والخسائر. وانتقلت الدولة إلى مستوى آخر من التعاطي مع المظاهر الإرهابية في عين الحلوة: التفاوض مع القوى الإسلامية لتسليم المطلوبين بقتل العرموشي كمرحلة أولى ثم المطلوبين بقتل جنود من الجيش وبعمليات إرهابية أخرى. هذا المطلب سمعه كل من رئيس الحركة الإسلامية المجاهدة جمال خطاب وممثل «عصبة الأنصار» أبو سليمان السعدي من الوفد اللبناني – الفلسطيني الذي زار عين الحلوة ليل الثلاثاء لتثبيت وقف إطلاق النار، بحضور ممثل حركة حماس أحمد عبد الهادي. خطاب والسعدي و«الفولز» المتهمين بقتل العرموشي وسواهم بتسليم أنفسهم بعد تمكنهم مرات عدة من التواري بعد اشتباكات عنيفة لم تتمكن منهم؟. وماذا عن محمد زبيدات الملقب بـ«الصومالي» الذي أشعل شرارة الاشتباك الأخير بإطلاقه النار على ثلاثة إسلاميين ليل السبت ثأراً لمقتل شقيقه قبل ستة أشهر؟.

التساؤل الآخر المطروح: من سيدفع التعويضات للأهالي؟ علماً أن معلومات أشارت إلى أن هيئة العمل المشترك الفلسطيني ولجنة الحوار اللبناني – الفلسطيني تبحثان في التواصل مع دول عربية وغربية لتمويل عملية إعادة الإعمار والترميم.

متضرّرو عين الحلوة: عوضنا على الله

(علي حشيشو)

علي حشيشو

بعد ساعات على إعلان وقف إطلاق النار بين فتح و«الشباب المسلم»، بدأ أهالي عين الحلوة الذين نزحوا هرباً من الاشتباكات الأخيرة بالعودة إلى منازلهم بعد خمسة أيام من مغادرتها. غير أن بعضهم سرعان ما غادروا مجدّداً بعدما عاينوا حجم الدمار والخراب اللذين لحقا بمنازلهم.

«عوضنا على الله» هي العبارة الأكثر ترداداً رداً على السؤال الأكثر انتشاراً في المخيم: «من سيعوّض علينا؟». عجوز في حي حطين استعادت نشاطها المعتاد صباح أمس بعد انتهاء المعارك. لكنها لا تعرف إن كان الهدوء هُدنة أو سلماً دائماً. «هدولا (تشير إلى المقاتلين الإسلاميين المتشددين) هيهان ورانا هونا بالملعب، وإحنا بالشوارع، ما بيخوفو، إجت اليهود عالمخيم وما خِفنا وضلينا قاعدين هونا، شوف يمّا ما بيصيبنا شي الا وبيكون ربنا كاتبو علينا».

فتحت الحاجة السبعينية دكانها في الحي – المحرقة بعدما أحالت الاشتباكات جزءاً منه إلى لوحة سوداء صبغت صفاً طويلاً من المنازل والدكاكين والسيارات والأشجار. الدمار والخراب تركا بصماتهما بشكل خاص في أحياء الطوارئ والبراكسات والصفصاف والتعمير التحتاني.

على مدخل زاروب، مقاتل إسلامي ملثم مدجّج وفي حال استنفار. في مقابله، مجموعة من مقاتلي فتح وقد غلبهم التعب من القتال. الزاروب تحوّل إلى حطام والجدران مزّقتها فجوات تحوّلت إلى «طلاقيات» ومتاريس لإطلاق الرصاص من خلفها.

«الله ينتقم منهم كلّياتن»، يصرخ صاحب ورشة حدادة إفرنجية وهو يتفقّد الأضرار التي لحقت بورشته. بصعوبة يرفع باباً جرّاراً مشيراً إلى الحطام. «هذا مصدر عيشي، خربوا بيتي وقطعوا رزقي، انشالله ربنا بيقطع بارزاقن ويبعتلن ضربة بأولادن».

جاره أبو محمد خرج بالبيجاما لاختبار الاتفاق على وقف إطلاق النار الذي سمع عنه في التلفزيون فيما كان تبادل الرصاص والقنابل والسباب مستمراً بين الفتحاويين والإسلاميين. استغرب حين وقعت عيناه على صحافيين وصلوا إلى حيه، فانفجر غضبه المحتقن منذ أيام: «دمار وخراب، والناس ما معها مصاري لتصلّح، والشعب هونا ميّت من الجوع». يأخذنا أبو محمد في جولة في المربع الأسود. يجر بقدميه «شحّاطة أصبع» يخوض فيها بالرماد الذي غطّى الإسفلت: «هذه بوسكليت ابن جيراننا احترقت وهي معلقة على الحيط، وهذه سيارة قريبنا صارت رماداً، وهاديك المرسيدس لأخو جارنا تخرّقت بالرصاص وراح زجاجها». بصعوبة يخلع باب المرسيدس ويلتقط منفضة الريش ليزيح بها الزجاج المحطم وطبقة الغبار الأسود من آثار الحرائق. «شو بدنا نقول اذا سبينا هدول او هدلك كاننا عم نسب ع حالنا، طول عمرنا مشخرين ورح نضل». هي سيارة أخيه التي يعمل عليها «سرفيس». أما «سيارتي فكمان أكلتها رشق بالموتور بالمليلة الثانية من الحي».

تقرير

رسوم العبور تشلّ النقل الخارجي

سامر الحسيني

على جانبي الطريق الدولي بين شتورا والمصنع، تصطفّ نحو 1700 شاحنة مبرّدة وعادية، وقد اختفت معالمها تحت طبقة سميكة من الغبار، ما يشير بوضوح إلى آثار الكارثة الاقتصادية التي لحقت بهذا القطاع منذ قرار المملكة العربية السعودية حظر الاستيراد من لبنان قبل ثلاث سنوات. يقول أحد السائقين: «منذ ثلاث سنوات، لم أحرّك الشاحنة متراً واحداً، واليوم تطالبنا الدولة ببدل ميكانيك يزيد على 11 مليون ليرة لكل شاحنة».

غير أن أزمة قطاع النقل الخارجي لا تتعلق بالقرار السعودي حصراً، وإنما بـ«تنكيل» مالي يتعرّض له هذا القطاع عبر الرسوم التي تفرضها سلطات الدول العربية التي يسلكها. ففي عام 2015، قررت السلطات السورية استيفاء ضريبة مرور، تحدد قيمتها بحسب وزن الشاحنة والمسافة التي تقطعها داخل أراضيها. فإذا كانت الشاحنة، مثلاً، تزن 40 طناً وتتجه الى معبر نصيب على الحدود مع الأردن، أي أنها تقطع 150 كيلومتراً في الأراضي السورية، تصل قيمة الضريبة إلى 600 دولار ذهاباً و300 دولار في طريق عودتها الى الأراضي اللبنانية. أما الشاحنات التي تتجه إلى الحدود العراقية، على مسافة 800 كيلومتر، فتتكبّد ضريبة تصل إلى 5000 دولار، تقلّ أو تزيد بحسب حجم الحمولة.

وأشار المصدر علي فاضل إلى أن «الضريبة السورية تحرق كل الأرباح وتعدم أيّ إمكانية لبيع إنتاجنا».

وعلى الحدود الأردنية، يتوجّب على كل شاحنة دفع نحو 600 دولار على الأقل رسوم تخليص جمركي، فيما لا يكلف لبنان أي شاحنة أردنية أكثر من 100 دولار. كما تُفرض على الشاحنات اللبنانية التي تدخل الأراضي الأردنية ضريبة مبيعات تُحدّد وفق حجم الحمولة وتسعيرة المنتج. فالشاحنة المحمّلة بـ 25 طناً من التفاح، مثلاً، تتوجب عليها ضريبة مبيعات تصل

> **أعلن أمس بدء سريان خفض رسوم العبور السورية الى النصف على الشاحنات اللبنانية**

الى 1200 دولار يدفعها المصدّر اللبناني ويستعيد نحو 80% من قيمتها بعد بيعها من قبل التاجر الأردني. ويؤكد مصدّرون أن قيمة هذه الضريبة تصل أحياناً إلى نحو عشرة آلاف دولار لبعض أنواع الفواكه كالأفوكادو. كذلك، تتكبّد كل شاحنة لبنانية نحو 1000 دولار رسوماً على الحدود

(الأخبار)

أعلنت، أمس، عن قرار رسمي بخفض رسوم العبور بنسبة 50% على الشاحنات اللبنانية المحملة حصراً بمنتجات لبنانية، وجرى إبلاغ وزير الأشغال العامة والنقل علي حمية بمضمون هذا القرار. وهو ما قوبل، بترحيب المصدّرين وأصحاب الشاحنات، آملين باستمرار التواصل مع الجانب السوري لرفع كامل لهذه الضريبة، إذ إن الضريبة لا تزال مرتفعة، وخصوصاً للمصدّرين الى العراق بسبب طول المسافة.

ودعا رئيس تجمع مزارعي وفلاحي البقاع إبراهيم الترشيشي الحكومة إلى إطلاق ورشة حوار مع سوريا والأردن والعراق لخفض الرسوم على الصادرات الزراعية، لافتاً إلى أن «تخفيض الضريبة السورية يرفع حجم التصدير الى الأردن، أما بالنسبة إلى العراق، فإن كلفة الضريبة لا تزال مرتفعة، ولا يزال الحظر السعودي سارياً على المنتجات اللبنانية، فضلاً عن رسوم تحت تسميات مختلفة بهدف الهروب من شروط بنود اتفاقية التيسير العربية». وأكّد أن «كل ما يروّج من جهد رسمي يبقى في إطار البروباغندا الإعلامية»، إذ يقف لبنان مكتوف اليدين أمام العراقيل التي تعترض إنتاجه الزراعي وتشلّ قطاع النقل البري المخصص للتصدير، فيما تدخل الشاحنات العربية لبنان من دون أيّ عقبات.

تقرير

ديوان المحاسبة يحقق في صفقة «نظام إدارة الطيف»

تحوّلت صفقة شراء شركتي «ألفا» و«تاتش» نظام إدارة ومراقبة الطيف الترددي، بقيمة تسعة ملايين دولار عام 2014، عملياً إلى ملف قيد التحقيق لدى ديوان المحاسبة. وألزم وزير الاتصالات السابق نقولا الصحناوي شركتي الخلوي على شراء النظام لمصلحة مديرية الاستثمار والتجهيز في الوزارة، من دون علم الأخيرة. ولدى استلام الشركتين للمعدات لم تُشكّل لجنة استلام ولم تسجّل الشركتان المعدات ضمن أصولهما. (راجع «الأخبار»، 28 تموز 2023).

وفي معرض تحقيقاته، عقد ديوان المحاسبة جلسة استيضاحية، في 26 تموز الفائت، مع مدير إدارة الترددات في الهيئة الناظمة للاتصالات محمد أيوب للاستفسار حول عدد من النقاط. وأرسل الديوان، أول من أمس، مذكرة إلى إدارة الترددات في الهيئة الناظمة، طلب فيها تزويده بتقرير مفصّل عن الصفقة يتضمّن إجابات حول تساؤلات لدى الديوان.

ويدور التحقيق حول ما إذا كان التلزيم قد تمّ على أساس دراسة معدّة مسبقاً، وفي حال الإيجاب تزويده بنسخةٍ منها، وكذلك حول الأسعار ودور الهيئة الناظمة للاتصالات في تلزيم المشروع كونها، بحكم قانون الاتصالات، المسؤولة عن كل ما يتعلق بالطيف والترددات. كما تشمل التحقيقات علاقة «ألفا» و«تاتش» بمشروع إدارة ومراقبة الطيف والترددات، ودورهما في بإصدار تراخيص لاستعمال الترددات، علماً أن ذلك ليس من اختصاصهما.

وتشمل أسئلة الديوان ما إذا كان المشروع لُزّم دفعة واحدة أم على أقسام، وفي الحالة الثانية حول عدد الأقسام ومدى ارتباط كل قسم بالآخر، والتدقيق في إمكانات المشروع، وقدرته على تغطية كامل الأراضي اللبنانية، وفي حال لم يكن الأمر كذلك، عن سبب شراء النظام والمعدات أساساً.

وفي الشق القانوني للصفقة، تضمنت المذكرة أسئلةً عن طريقة التلزيم ومدى مطابقتها للقوانين والأنظمة، وعما إذا تم تحضير دفتر شروط للمشروع، والجهة التي أعدّته، ومدى الالتزام به.

(الأخبار)

قضية

محاولة لتمرير مزايدة البريد أمام الحكومة قبل رأي ديوان المحاسبة

ندى أيوب

بدا لافتاً أن يُدرج على جدول أعمال جلسة مجلس الوزراء، اليوم، طلب وزير الاتصالات جوني القرم الموافقة على تفويضه التوقيع على مشروع عقد مزايدة البريد مع تحالف شركة «Merit invest – Colis Privé» والمستندات التابعة له. إذ إن وزير الاتصالات يطلب منحه صلاحيات يملكها أساساً بموجب القانون. إلا إن ما يثير الاستغراب أكثر هو أن المزايدة لم تنل بعد موافقة ديوان المحاسبة المسبقة عليها، وهي موافقة مُلزمة وفق القانون.

قبل نحو أسبوعين، رست مزايدة تلزيم الخدمات والمنتجات البريدية، للمرة الثانية، على العارض الوحيد، شركة «Merit invest - Colis Privé»، وهي تحالف شركتين، الأولى لبنانية يملكها رودولوف سعادة، أحد مؤسسي شركة «CMA-CGM» للنقل البحري التي التزمت بعض مجالات التشغيل في مرفأ بيروت، والثانية فرنسية لديها رخصة توزيع بريد، وليس لديها مكاتب بريدية. وكان التحالف نفسه فاز في جولة مزايدة سابقة ألغيت بناء لتوصية هيئة الشراء العام، نظراً إلى عدم مطابقة العرض لدفتر الشروط، أي أنّ الشركة لم تكن مؤهّلة لاستلام القطاع تبعاً للمعايير الواردة في دفتر الشروط. وفي الجولة الثانية عدل دفتر الشروط لناحية يتناسب ومعايير الشركة، التي عادت وفازت بالمزايدة، كما يُفهم من تقرير اعدته هيئة الشراء العام.

وأعلنت نتائج المزايدة الثانية وسط اعتراض ثلاث شركات اشترت دفتر الشروط أيضاً، هي شركة «غانا بوست» المحدودة وشركة «سي - كوم هولدنغ ش.م.ل»، وشركة «تراست ترايدينغ ش.م.ل». وطعنت «غانا بوست» في المزايدة أمام مجلس شورى الدولة اعتراضاً على مهلة تحضير العروض التي حدّدتها وزارة الاتصالات بـ35 يوماً، ما اعتبرتها الشركات وهيئة الشراء العام مدة غير كافية قياساً إلى صعوبة الشروط المطلوبة، والتي تستلزم 3 أشهر على الأقل لإعدادها. وعلى أساسه لجأت الشركة إلى قضاء العجلة في الشورى تطلب منع فضّ العروض، نظراً لعدم جواز قصر مدة التحضير بهذا الشكل. إلا أنّ الشورى لم تنظر في الملف إلا بعد ما كانت العروض قد فُضّت، فردّت الطلب لإنتفاء العجلة بعد فض العروض، وليس لأن المزايدة خالية من المخالفات. وعلمت «الأخبار» أن طعناً جديداً يحضّر من «غانا بوست» بنتائج المزايدة.

وبعدما ردّ شورى الدولة الطعن، يتوجّه وزير الاتصالات إلى عرض الملف على مجلس الوزراء، علماً أن رفض الطعن «لا يعفيه من إلزامية عرض المزايدة على ديوان المحاسبة لأخذ موافقته المسبقة عليها، قبل التوقيع مع الشركة الرابحة. ولم يحدث أن مرّت مزايدات وعقود كهذه من دون موافقات مسبقة»

> طعن جديد يحضّر في مزايدة البريد وطلب «غريب» من القرم

بحسب قانونيين، أشاروا إلى أن «الحالة الوحيدة التي يلجأ فيها الوزير إلى مجلس الوزراء، هي لكسر قرار الديوان في حال كان رافضاً للمزايدة، ومثل هكذا خطوة نادراً ما تحصل»، فضلاً عن أنّ طلب القرم يعد «سابقة» كون مجلس الوزراء «ليس المرجعية الصالحة لإعطاء هكذا صلاحيات هي في الأساس ممنوحة له بقانون».

وفيما عزا القرم في حديث لـ«الأخبار» طلبه التفويض إلى أنه لا يريد تحمّل عبء التوقيع، وسط اعتراض فريق سياسي في البلد على الكثير من الإجراءات واعتبار حصولها في ظل الفراغ الرئاسي، تعديباً على صلاحيات رئيس الجمهورية، بقي توقيت طلبه قبل أخذ موافقة الديوان المسبقة غير مفهوم. مع العلم أنه أكد عدم نيته مخالفة القانون بهذا الشأن.

وتفيد المعلومات بأنّ الديوان سيتحرّك حيال ما سيعتبره «مخالفة كبرى» في حال وقّع القرم المزايدة قبل أخذ موافقته، خصوصاً أن مثل هذه المزايدات والعقود لم يحصل أن مرّت من دون موافقات مسبقة.

هيئة الشراء العام: هكذا فُصّلت المزايدة «على القياس»

أصدرت هيئة الشراء العام تقريراً عن مناقصة البريد أظهر أن وزارة الاتصالات «فصّلت» عملية التلزيم على قياس شركة واحدة تقدّمت بشكل وحيد للمناقصة.

إثر إعلان نتيجة مزايدة البريد في 12 تموز الماضي بعارض وحيد، وإرساء الالتزام مؤقتاً على تحالف شركتي «Merit Invest – Colis Prive»، طلبت هيئة الشراء العام من وزارة الاتصالات إيداعها كامل ملف التلزيم بكل مراحله. إذ أن هذه لم تكن المرّة الأولى التي تكون فيها هذه الشركة عارضاً وحيداً في هذا التلزيم رغم التعديلات الجوهرية التي أجريت على دفتر الشروط. واستندت الهيئة إلى الفقرة التاسعة من المادة 76 من قانون الشراء العام التي تمنحها صلاحية «مراقبة وتقييم تطبيق النصوص القانونية والقواعد التي تُرعى الشراء العام»، وذلك من خلال تنظيم «تقارير دورية تتناول مكامن الخلل و/أو مخالفة القوانين في كل الجهات الشارية».

يصف التقرير مراحل إعداد مزايدة تلزيم الخدمات والمنتوجات البريدية. في المرة الأولى لم تجرِ المزايدة لأن شركة «غانا بوست» قدّمت عرضها بعد عشر دقائق على انتهاء مهلة تقديم العروض. وفي المرّة الثانية أرسي الالتزام مؤقتاً على تحالف «Merit Invest – Colis Prive»، علماً بأن الأولى مملوكة من مؤسس CMA-CGM رودولف سعادة المقرّب من الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون، والثانية فرنسية تعمل في نقل الطرود البريدية. غير أن عملية التلزيم المؤقّت ألغيت بناء على توصية هيئة الشراء العام التي خلصت بعد التدقيق في الملف إلى أن العرض المقدّم لا ينطبق على دفتر الشروط، ولا سيما لجهة نطاق الخدمات البريدية، فضلاً عن أن العرض المالي ليس لمصلحة الخزينة اللبنانية. لذا، أعيدت المزايدة مرّة ثالثة بعد تعديل دفتر الشروط، ولا سيما الشرط الذي يحدّد النشاط الرئيسي المقبول بـ«نقل الطرود» وليس بالضرورة «الخدمات البريدية». أي أنه لم يعد ممكناً استبعاد Colis Prive التي باتت مطابقة للشروط. واستخدمت الوزارة ذريعة أساسية هي «توسيع دائرة المنافسة لتلافي تقديم عارض وحيد» كما جاء في تقرير الهيئة. إلا أن النتيجة لم تكن كذلك بل «تقدّم إلى المزايدة العارض الوحيد نفسه الذي تقدّم إلى المزايدة السابقة».

> «نفخ» الملاءة المالية للشركة اللبنانية في التحالف من 8 ملايين دولار إلى 48 مليوناً

ومن المسائل الأساسية التي أثارتها الهيئة بشأن دفتر الشروط، أنه جرى تحديد رأسمال شركة المشروع بنحو 10 ملايين دولار «فريش»، ما اعتبرته الهيئة «أنه قد يحدّ من المنافسة.

فيما ردّت جهة التعاقد (وزارة الاتصالات) بأن هذا الشرط ضروري لضمان تأمين الاستثمارات اللازمة للمشروع». وهو ردّ يثير تساؤلات، إذ هل يُعقل رفع قيمة رأس المال إلى مستوى كهذا يصعب معه إيجاد شريك قادر على المخاطرة برأسمال كبير في ظل أزمة مالية ونقدية؟ عندما بدأ درس الشروط المتعلقة بالملاءة المالية للشركة الوحيدة، تبيّن أن احتساب ملاءة شركة «Merit Invest – Colis Prive» أجري على أساس سعر صرف 15000 ليرة بدلاً من سعر الدولار «الفريش» ما أدّى إلى نفخ الملاءة المالية لعضو التحالف اللبناني، أي Merit Invest من 8 ملايين دولار إلى 48 مليوناً، علماً بأن الملاءة مهمّة لدرس قدرة التحالف على تمويل النفقات الرأسمالية البالغة 12,8 مليون دولار. كما أن الضمانات المالية التي قدّمها التحالف في سبيل هذه الملاءة لم تكن نهائية، ما يثير كثيراً من التساؤلات حول نتيجة المزايدة.

كذلك تبيّن أن التحالف حصل على ضمانات إدارية وفنية من شركة «La poste» الفرنسية التي تبيّن أنها في حال فوز التحالف ستعمل بمثابة استشاري له وفي تزويده بالخدمات التقنية والاستشارية في مجال الخبرة المطلوبة، لكنها لفتت إلى أنه «سيتم إجراء مزيد من الدراسات والتحليلات في أي وقت للتحقق من مستوى الاستثمار في الأجهزة والبرمجيات والأنظمة القادرة على معالجة العمليات البريدية بكفاءة وإدارة البيانات الأمنية وقدرات التتبع والتعقب المتقدمة».

وعلّقت هيئة الشراء عام على ذلك بأنه «يجب أن يكون العرض المقدم من التحالف نهائياً وغير قابل للتعديل أو الرجوع عنه، وألا تكون هناك انحرافات عن أحكام دفتر الشروط الخاص بالمزايدة نتيجة أي دراسة مستقبلية أو إعادة نظر...».

وفي ما يتعلق برسوّ التلزيم على العارض الوحيد فهو أمر يستوجب، بحسب التقرير، شروطاً وردت في الفقرة الرابعة من المادة 25 من قانون الشراء العام، وهي:

- أن تكون مبادئ» وأحكام قانون الشراء العام مُطبّقة وألّا يكون العرض الوحيد ناتجاً عن شروط حصرية تضمّنها دفتر الشروط الخاص بمشروع الشراء.

- أن تكون الحاجة أساسية ومُلحّة والسعر مُنسجماً مع دراسة القيمة التقديرية.

- أن يتضمّن نشر قرار الجهة الشارية بقبول العرض الفائز (التلزيم المؤقت) نصّاً صريحاً يتقدّم العارض الوحيد المقبول ونيّة التعاقد معه».

(الأخبار)

فلسطين

السلطة «تُطنّش» إطلاق المُعتقَلين «بروفة» اقتتال داخلي في جنين

رأم الله ـ أحمد العبد

تحبس مدينة جنين أنفاسها، خشية تدهور الأوضاع الأمنية الداخلية، والوصول إلى مرحلة لا تُحمد عُقباها من الاقتتال الداخلي، وذلك جرّاء أداء الأجهزة الأمنية الفلسطينية، واستمرارها في حملة الاعتقالات والملاحقات للمقاومين ونشطاء سياسيين. وارتفعت المخاوف، خلال الساعات الماضية، من انزلاق الأوضاع في المدينة إلى هذا السيناريو، عقب اندلاع اشتباكات بين عناصر الأمن ومسلّحين، على خلفية استمرار اعتقال خالد عرعراوي (منذ 16 تموز) رغم المُناشدات التي أطلقت في الأيام الفائتة من أجل إطلاق سراحه. وعرعراوي هو أسير مُحرَّر، وعمّ الشهيد مجدي عرعراوي الذي ارتقى في خلال تصدّيه للعدوان على مخيم جنين قبل شهر تقريباً، ووالد الجريح كمال عرعراوي. وقد اعتُقل بسبب مشاركته في طرد وفد «مركزية فتح» الذي كان يزور مخيم جنين، بعد انتهاء العدوان الأخير عليه.

وبدأت الاشتباكات بإطلاق

> العمليات الفدائية لم تَعُد مقتصرة على بقعة جغرافية بعينها

صليات كثيفة من الرصاص بعد منتصف ليل الثلاثاء - الأربعاء تجاه مقرّ المقاطعة في المدينة، ليردّ عناصر الأمن بإطلاق النار وقنابل الغاز المُسيّل للدموع، وفق ما رصدته كاميرات المواطنين، التي سجّلت أيضاً انتشاراً كثيفاً للأجهزة الأمنية، وتحديداً في منطقة مستشفى جنين الحكومي القريب من المخيم. وترافق ذلك مع إطلاق مكبّرات الصوت في المساجد مُطالبات بالإفراج عن العرعراوي والمعتقلين لدى السلطة. وخلال الشهر الجاري، شنّت الأجهزة الأمنية حملة اعتقالات طالت الكثير من المقاومين وتحديداً في قرى ريف جنين، مثل بعد وجبع، وفق ما تفيد به بيانات «سرايا القدس - كتيبة جنين»، وهو السبب الذي دفع حركة «الجهاد الإسلامي» إلى رفض المشاركة في اجتماع الأمناء العامين للفصائل في مصر.

ومنذ انتهاء العدوان الأخير على المخيم، تشهد محافظة جنين استنفاراً أمنياً فلسطينياً؛ إذ نشرت السلطة، بإيعاز من رئيسها محمود عباس، قواتها في المدينة ومخيمها وقراها، وسط تقارير عن غضب «أبو مازن» من أداء أجهزته، وتزايُد شعبية مجموعات المقاومة هناك. وفي الواقع، فإن قوات الاحتلال توقّفت، منذ قرابة شهر، عن تنفيذ اقتحامات لجنين ومخيمها - باستثناء اقتحام واحد فقط -، وهو ما يفسَّر على أنه محاولة إسرائيلية لمنح السلطة وأجهزتها الفرصة للقيام بدورها في السيطرة على الأوضاع. وشكّلت جنين، ولا تزال، كحالة نضالية متقدّمة في الضفة، ونموذج متطوّر في المقاومة، تحدّياً كبيراً لإسرائيل التي فشلت أكثر من مرّة في إنهاء تلك الحالة، بل وأتت عملياتها نتائج عكسية، بتمكّن المقاومة من نقل خبراتها إلى مناطق أخرى، وفق ما يظهره أداء المقاومين في مخيم نور شمس من تطوّر في الأداء، وتحديداً لناحية تصنيع العبوات الناسفة.

وتُحرج حالة المقاومة في جنين، السلطة الفلسطينية كذلك، التي تفقد بريقها وشعبيّتها أمام المدّ الشعبي المؤيّد للمقاومة. كما تُبرز هذه الحالة للرأي العام عجز السلطة وقلّة حيلتها وفشل خياراتها السياسية، وتجلّي الغضب من استنكافها عن حماية الناس من بطش الاحتلال، بل واستعدادها أخيراً للانجرار إلى ما تريده إسرائيل من اقتتال فلسطيني داخلي، عبر الزجّ بأجهزتها في مواجهات مباشرة مع المقاومين. وفي محاولة لاستباق هكذا سيناريوات وتلافيها، طالبت مجموعات المقاومة، عبر بيانات متكرّرة حديثاً، بضرورة الإفراج عن المقاومين والمعتقلين، فيما نظّم المئات من أهالي مخيم جنين ومناطق متفرّقة في الضفة، مسيرة منددة بـ«الاعتقالات السياسية»، دعت إليها «كتيبة جنين» في الـ17 من تموز.

مع ذلك، فإن ما جرى فجر الأربعاء يحمل في طيّاته مؤشّرات خطيرة، تنذر بوقوع الأسوأ في حال لم يجرِ تطويقه. وتتقدّم تلك المؤشرات حقيقة أن الأجهزة الأمنية اشتبكت بشكل عنيف مع المسلّحين، وردّت على إطلاق النار بمشاركة معظم أجهزتها، خلافاً لما كان يجري سابقاً من عدم الردّ في حالات إطلاق النار على مقرّ المقاطعة أو الأجهزة الأمنية. أمّا المؤشّر الثاني الأبرز، فهو وصول حالة رفض الاعتقالات والمطالبة بالإفراج عن المعتقلين إلى حدود إبداء الاستعداد لـ«أخذ الحق باليد».

تحرج حالة المقاومة في جنين، السلطة الفلسطينية التي تفقد شعبيتها امام تايد المقاومة (أ ف ب)

ومن هنا، أذاعت مكبّرات صوت المساجد في مخيم جنين، بياناً اتّهم السلطة بتمرير مخطط العقبة وشرم الشيخ بالتضييق على المقاومين وكلّ من ينصرهم، معلناً «(أنّنا) صبرنا كثيراً على اعتقال الأب خالد عرعراوي الذي لا نعلم حتى اليوم ما هو مصيره ولا موقعه ولا مكانه ولا أيّ معلومة عن صحّته، علماً أن ابنه ما زال يرقد في المشفى، وقد فقد النظر إثر إصابته». وأضاف البيان «(أنّنا) نُطالب السلطة بأن تتركنا وشأننا، لا نطلب منهم أن يدافعوا عنا ولا أن يقاتلوا بالنيابة عنا، كلّ ما نطلبه منهم وقف الاعتقالات السياسية». وهدّد البيان بأنه «ابتداءً من الآن، ستكون هناك خطوات تصعيدية، ولن نترك العم خالد وحده»، متابعاً «(أنّنا) نوجّه رسالة إلى كلّ قيادات السلطة: لا نريد أن نراكم داخل مخيمنا، لأنه لا يجوز تطبيق دور المهرّج في مكاتبكم، ترسمون الخطط ضدّنا وأمامنا تطبّقون دور الأب الحنون».

وبالتزامن مع الاشتباكات في جنين، شهدت مدن نابلس وأريحا وطولكرم مواجهات عنيفة بين المقاومين وقوات الاحتلال التي نفّذت مداهمات واسعة هناك. إذ اقتحمت قوات كبيرة من جيش العدو المنطقة الشرقية لمدينة نابلس لتأمين الحماية للمستوطنين الذين اقتحموا قبر يوسف، فيما شهد مخيم عقبة جبر معارك شديدة عقب محاصرة منزل واعتقال شبان عدّة جرى لاحقاً الإفراج عن معظمهم. وعلى الرغم من الاستنفار الأمني الذي تعيشه قوات الاحتلال في الضفة الغربية، إلّا أن ذلك لم يَحُل دون توجيه المقاومة ضربات قوية إلى المستوطنين في الساعات القليلة الماضية، كان أبرزها تنفيذ الشاب مهند المزارعة، عصر الثلاثاء، عملية إطلاق نار في مستوطنة «معاليه أدوميم» قرب القدس المحتلّة، نجمت عنها إصابة 6 مستوطنين، بينهم اثنان بجروح خطيرة؛ وعملية إطلاق نار أخرى على مركبة للمستوطنين قرب حاجز الحمرا في الأغوار ظهر الأربعاء، أدّت أيضاً إلى إصابة مستوطنة بجروح بسيطة، في مكان ليس ببعيد عن عملية مقتل 3 مستوطنات في هجوم فدائي قبل أشهر.

وعلى الرغم من التفاوت في مواقيت العمليات الفدائية، إلّا أنه من الواضح أنها لم تَعُد مقتصرة على بقعة جغرافية بعينها، وأن منفّذيها يثبتون قدرة متزايدة على تجاوز الاستنفار الإسرائيلي، والاقتراب من الحواجز العسكرية، ومن ثمّ الانسحاب بسلام. وجاءت عمليتا «معاليه أدوميم» والأغوار في سياق تصاعد استهداف المستوطنات والمستوطنين في الضفة، على غرار ما سبقهما من استهداف لمستوطنة «عيلي» الذي أدّى إلى مقتل 4 مستوطنين، وآخر لمستوطنة «كدوميم». كما جاءت لتؤكدا فشل الاحتلال في وقف هجمات المقاومة، على الرغم من عمليات الاقتحام والإعتقال والقتل اليومية، وهو ما يدلّ على خروق إضافية في جدار الردع، وتآكل جدوى العقوبات الجماعية التي تُفرض على عائلات منفّذي العمليات عبر هدم منازلهم وسحب تصاريح العمل منهم، والأهمّ عجز أجهزة العدو الاستخبارية عن الرصد المسبق لهذه العمليات ومنع وقوعها رغم حديث الاحتلال دائماً عن وجود إنذارات ساخنة وبالعشرات.

تقرير

لم تيأس الولايات المتحدة من محاولة استعادة السعودية إلى بيت الطاعة، وفق ما تُظهره جملة معطيات آخرها ما أُشيع عن نُضج نوع من الترتيبات التي يجري الحديث عنها منذ وقت طويل بين كلٍّ من المملكة والولايات المتحدة وإسرائيل. إلّا أن نظرة إلى ما تسرّب من تلك الترتيبات المفترضة، تُظهر أن المعروض ما زال يقلّ كثيراً عن أدنى ما يمكن أن يقبل به النظام السعودي

الطرح الأميركي يسترضي السعودية «لفظياً»

الرياض – تل أبيب: عقبات على طريق التطبيع

حسين إبراهيم

منذ أيام، تروّج وسائل إعلام أميركية وإسرائيلية، لاتفاق تطبيع «قريب» بين السعودية وإسرائيل، يشمل ما سرّبه الإعلام الأميركي قبل أشهر عن شروط سعودية للقيام بذلك، أهمّها ثلاثة: مساعدة أميركية للرياض في امتلاك تكنولوجيا نووية سلمية، والحصول على أسلحة أميركية

> ثمّة خط لا يستطيع النظام النزول تحته، وإلّا فقد يترتب على أيّ مغامرة تهديد له

متقدّمة، والتوصل إلى حلّ للنزاع الفلسطيني - الإسرائيلي على أساس «حل الدولتين». إلّا أنه حتى الآن، لا كلمة سعودية واحدة، لا بشكل رسمي أو غير رسمي، لا عن الاتفاق «القريب»، ولا عن الشروط المزعومة.

أكثر من ذلك، طوال السنة الماضية، «نعّمت» الوفود الأميركية الطريق إلى السعودية في رحلات أسبوعية تقريباً، شارك فيها مسؤولون كبار منهم وزير الخارجية، أنتوني بلينكن، ومدير المخابرات المركزية، وليام بيرنز، ومستشار الأمن القومي، جايك سوليفان، الذي كان أكثر المتردّدين على المملكة مع منسّق شؤون الشرق الأوسط في مجلس الأمن القومي، بريت ماكغورك، وكبير المستشارين لشؤون أمن الطاقة العالمي، عاموس هوكشتين. لكن على رغم هذا «الهجوم» الديبلوماسي الأميركي الكبير، إلّا أن المملكة لم تغيّر سياسة التفلّت من السطوة الأميركية، وبقيت على المسار نفسه في استعادة العلاقات مع إيران، والمفاوضات في اليمن، على رغم محاولات العرقلة هنا وهناك.

ما نشرته صحيفة «نيويورك تايمز» قبل أيام للكاتب توماس فريدمان عن مضمون لقاء مع الرئيس الأميركي، جو بايدن، يُفيد بوجود مشروع أميركي للتطبيع، هو في جوهره يهدف إلى إعادة السعودية إلى الحظيرة الأميركية، وإنهاء حالة «التمرّد» التي بدأتها عقب وصول جو بايدن إلى البيت الأبيض، وانطلاق المحاولات الأميركية لعزل ولي العهد، محمد بن سلمان، والتي دفعته إلى الاقتراب من قوى عالمية أخرى، كالصين وروسيا، وأخيراً إيران. على أنّ الكاتب نفسه يقول إن مثل هذا الاتفاق الذي يجري الحديث عنه يحتاج إلى مفاوضات مضنية لإنجازه.

هذا من الجهة الأميركية والإسرائيلية، فماذا عن السعودية؟ يمكن إغداق الكثير من الأوصاف السيّئة على السعوديين، كالقول إنهم خبثاء أو متآمرون أو خلاف ذلك، لكنهم ليسوا أغبياء. وحين يتعلّق الأمر بعلاقاتهم بالأميركيين، فلديهم خبرة بهم أكثر من أيّ طرف آخر في العالم، باستثناء إسرائيل، رأوا خلالها عن قرب كيف يتخلّى الأميركيون عن حلفائهم وينكثون بوعودهم لهم.

ملامح الاتفاق الذي يجري الترويج له، تتضمّن نصف تلبية، أو أقلّ، لـ«الشروط السعودية»، مثل أن يتمّ اتّخاذ إجراءات تضمن إبقاء إمكانية «حل الدولتين» قائمة - وليس التوصل إلى اتفاق على أساس هذا «الحلّ» -، وتقديم تكنولوجيا نووية سلمية جاهزة - وليس تمكين السعوديين أنفسهم من امتلاك مهارات تطوير تلك التكنولوجيا -. وهذا يعني إعطاء السعوديين مجرّد وعود فارغة لا يمكن صرفها، خاصة من إسرائيل التي تتنصّل من الاتفاقات الواضحة، فكيف بالمبهمة وحمّالة الأوجه؟ فما الضمانات التي يمكن أن تركن إليها السعودية بتنفيذ الاتفاقات التي يتمّ التوصل إليها؟ وهل يمكن أن تتحمّل المملكة تطبيعاً مع العدو، مقابل التارجح على أحاديل مفاوضات لها أول وليس لها آخر؟

إحدى الميزات الرئيسة التي يتمتّع بها ابن سلمان هي أنه نال شرف القول لا للأميركيين في الكثير من طلباتهم، ولا سيما في ما يتعلق بالنفط، بعد عقود من سياسة الإذعان والالتحاق بهم. فهل يمكن له بعد ذلك، تسويق اتفاق انبطاحي من هذا النوع؟ وإذا كان أصل المطالبة السعودية بامتلاك تكنولوجيا نووية هو إقامة توازن مع إيران، فكيف سيكون موقف السعوديين في حال قبلوا بنقل هذه التكنولوجيا جاهزة إليهم، وتحت الرقابة المشدّدة والدائمة، ومن دون مهارات التطوير التي تمتلكها طهران، وبنسبة تخصيب عالية؟ وعلى افتراض أنه تمّ تجاوز تلك العقبات، فهل يمكن تمرير نقل أيّ نوع من أنواع التكنولوجيا النووية إلى دولة خرج منها 15 من بين 19 انتحارياً شاركوا في هجمات 11 أيلول، على الرأي العام في أميركا أو إسرائيل؟

أمّا في قضية «حل الدولتين»، فهل يستطيع ابن سلمان القبول باتفاق لا يُفضي إلى إقامة دولة فلسطينية؟ وهل له مصلحة في ذلك من الأساس؟ ثمّة تجربة قد تكون مفيدة العودة إليها، هي محاولة تمرير «صفقة القرن» التي انتهت إلى فشل ذريع، بعد أن تورّط ولي العهد السعودي في محاولة فرضها على الفلسطينيين والأردنيين، في بدايات صعوده إلى السلطة عندما كان يواجه تحدّيات داخلية لحكمه، دفعته إلى الانخراط كلياً في مشروع الرئيس الأميركي السابق، دونالد ترامب، ذاك.

ولي العهد السعودي هو أكثر من اختبر الكراهية للسعودية في الولايات المتحدة، ومشكلته هنا لا تقتصر فقط على العلاقة السيئة بهذه الإدارة. فالذي امتنع عن الردّ ترامب، وليس بايدن. كما يدرك أنه في هذه السعودية هو أكثر المقوتين من قبل الأميركيين، فهل يسلّمهم رقبته، بعد أن نجا في بداية عهد بايدن من براثن الدولة العميقة في أميركا التي كانت لتفضّل الإطاحة به وتسلّم أيّ أمير قادر من أسرة الحكم الكبيرة بدلاً منه؟

قد يكون ابن سلمان استطاع أن يفرض تغييرات في المجتمع السعودي، إلا أنه قطعاً لا يستطيع تغيير الميول السياسة الكامنة للسعوديين، والتي تعبّر بطرق مختلفة عن كراهيتها للإسرائيليين والأميركيين. مع ذلك، لا يتوهّمن أحد بأن النظام السعودي ينطلق في علاقاته الخارجية من مبادئ أو أخلاق، وإنما من مصلحة النظام. ولو قدّم الأميركيون فعلاً ما يطمئنه إلى مستقبله لذهب معهم حيث شاؤوا، وإنما ثبت له بالتجربة (تحديداً في قضية صفقة القرن) أن ثمّة خطاً لا يستطيع النزول تحته، وإلّا فقد يترتب على أي مغامرة من هذا النوع، تهديد له.

لم تغيّر المملكة سياسة التفلّت من السطوة الأميركية (أ ف ب)

اليمن

السعودية تنجد حكومة عدن: جرعة إنقاذ مؤقّتة

لم يُسهم إعلان المنحة في تحسّن سعر صرف العملة المتداول بها (أ ف ب)

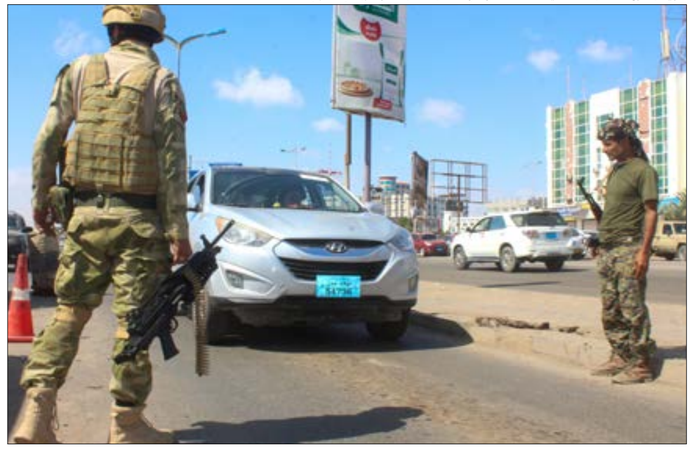

صنعاء ـ رشيد الحداد

بعد أسبوعين من تأجيلها لأسباب غير معروفة، أعلنت السعودية، مساء أول من أمس، تقديم 1,2 مليار دولار كمنحة مالية لدعم موازنة الحكومة اليمنية الموالية لها في عدن. وبحسب مصادر حكومية في عدن تحدّثت إلى «الأخبار»، فإنّ «المنحة المعلنة مشروطة بإصلاحات اقتصادية تعجيزية سبق لحكومة معين عبد الملك أن فشلت في تنفيذها». وبيّنت المصادر أن «المنحة هي تحت تصرّف برنامج إعادة الإعمار السعودي الذي يرأسه السفير السعودي لدى اليمن، محمد آل جابر، فيما لم يتمّ تحويل سوى 200 مليون دولار منها إلى حساب البنك المركزي اليمني في عدن في «البنك الأهلي السعودي»، مضيفةً أن «عملية السحب ستجري على دفعات وفقاً لتقدّم برنامج الإصلاحات التي طلبها برنامج إعادة الإعمار التابع للسعودية».

وخلافاً للبروتوكولات الخاصة بالمنح والودائع، جرى التوقيع على اتفاق المنحة في مقرّ «برنامج إعادة الإعمار» في الرياض، بغياب أيّ ممثّلين عن «مؤسّسة النقد العربي» (البنك المركزي السعودي)، وبحضور وزير المالية في حكومة عبد الملك ومحافظ «مركزي عدن». وتعهّدت الحكومة، بموجب الاتفاق، بتنفيذ إصلاحات تتعلّق بتحرير سعر الكهرباء في عدن والمحافظات الجنوبية، ورفع تعرفتها من 10 ريالات إلى 100 ريال للكيلوواط / ساعة، كما ورفع أسعار المشتقات النفطية، ومراجعة النفقات الحكومية، ووقف اللجوء إلى مصادر تضخّمية لتمويل العجز، واحترام استقلالية «المركزي»، فضلاً عن إعادة ربط القنوات الإيرادية بين فروع البنك في المحافظات الجنوبية والمركز الرئيس في عدن.

> بعدما تعرّضت حكومة عدن للاهتزاز بسبب عجزها عن تلبية احتياجات المواطنين ولا سيما في ما يتعلّق بالكهرباء، اضطرّت السعودية لتقديم منحة جديدة لها قدرها مليار دولار، في محاولة لإنقاذها. ومع ذلك، ربطت الرياض بين صرف المنحة وبين قيام تلك الحكومة بإصلاحات من بينها رفع تعرفة الكهرباء

وخلافاً لما أعلن عنه الجانب السعودي، نقل مراسل وكالة «أسوشيتد برس» في اليمن، عن مصدر اقتصادي مطلع في حكومة عدن، أن المبلغ المقدّم للأخيرة هو عبارة عن قرض وليس وديعة أو منحة. وكان السفير السعودي لدى اليمن، محمد آل جابر، أبدى، في تعليقه على توقيع الاتفاق، «تفاؤلاً بالآثار الإيجابية للمنحة»، وقال إن «الدعم السعودي للحكومة اليمنية سيسهم في دعم استقرار الريال اليمني، وتمكين البنك المركزي من توفير العملة الصعبة للواردات الغذائية الأساسية، وتوفير المشتقات النفطية لتشغيل محطات الكهرباء وتعزيز الأمن، وإيقاف فرص العودة إلى النزاع بين الأطراف اليمنية وتشجيعها على الجلوس على طاولة الحوار، والتوصّل إلى حلّ سياسي شامل».

وبتوجيهات من آل جابر، كان وصل فريق هندسي وفني، الأحد، إلى عدن، للاطلاع على الاحتياجات المستعجلة التي ستتمّ تلبيتها من قبل «برنامج إعادة الإعمار» بتمويل من المنحة الجديدة. ومع ذلك، قلّل اقتصاديون من أهمية هذه الأخيرة، مشيرين إلى أن شأنها شأن المنح التي سبق أن قدّمتها المملكة عبر «إعادة الإعمار»، والتي كانت عبارة عن تمويلات لمشاريع ينفّذها البرنامج، فيما استفادة حكومة عدن منها ستقتصر على استخدام تلك الأموال كغطاء لفاتورة الإيرادات، كما كان يحدث أثناء صرف الرياض مرتّبات الجماعات الموالية لها بالعملة الصعبة، وراى هؤلاء في الخطوة السعودية «حلاً مؤقّتاً» لانهيار سعر صرف العملة المحلية، والناتج من تراجع احتياطات البنك المركزي في عدن من العملات الصعبة، معتبرين أنه لن يكون لها أثر إيجابي كبير، مضيفين أنها ستعمل على ترحيل الخلاف الدائر بين الأطراف اليمنيين حول صرف مرتبات الموظفين وفقاً لكشوفات عام 2014، ولن تنهي حالة وقف صادرات النفط، لعدم توصّل الأطراف إلى اتفاق يُعيد إنتاج وتصدير أهمّ الصادرات الوطنية.

> المنحة المعلنة مشروطة بإصلاحات اقتصادية سبق لحكومة عدن أن فشلت في تنفيذها

وفي الآثار الآولية، لم يسهم إعلان المنحة، التي تعدّ الثانية في أقلّ من عام، في تحسّن سعر صرف العملة المتداول بها في مناطق سيطرة الحكومة الموالية لـ«التحالف»، وخلافاً للتوقعات، فإن البنوك وشركات الصرافة تداولت، الثلاثاء، الريال اليمني عند سعر صرف 1390 ريالاً للدولار الواحد، بانخفاض من 1426 ريالاً للدولار. وفي المقابل، انخفض سعر صرف الريال السعودي من 372 ريالاً إلى 364 ريالاً. وأرجع عاملون في السوق المصرفي في عدن، التحسّن الطفيف الذي طرأ على سعر صرف العملة المحلية، إلى ارتفاع بيع العملات الأجنبية من قبل المواطنين تحسّباً لانخفاض موازٍ في أسعارها في أعقاب إعلان المنحة السعودية.

يُذكر أن دول «التحالف» منحت حكومة عدن، في كانون الأول من العام الماضي، مليار دولار كوديعة مالية مشروطة عبر «صندوق النقد العربي السعودي»، إلّا أنه نظراً إلى فشل تلك الحكومة في تنفيذ التزاماتها وفق الاتفاق الموقّع مع الصندوق، تعثّرت عملية السحب من الوديعة في المرحلة الأولى. ووفقاً لأكثر من مصدر، فإن هذه العملية لا تزال متعثّرة حتى الآن؛ إذ يرفض «النقد العربي» منح الحكومة حق سحب المزيد بعدما استحصلت على دفعة أولى قيمتها 250 مليون دولار مطلع العام الجاري.

تونس

سعيد يستبدل «ديكوره» الحكومي

لا تغييرات منتظرة

تونس - الأخبار

على عجل، ومن دون مقدّمات باستثناء بعض الأحاديث التي دارت في الكواليس قبيل أسابيع، أقدم الرئيس التونسي، قيس سعيد، على إعفاء رئيسة حكومته، نجلاء بودن، وتعويضها بأحمد الحشاني. وكعادته، انتظر سعيد منتصف الليل لينزل بمفاجآته الثقيلة، عبر صفحة الرئاسة على «فايسبوك» التي نشرت فيديو يظهر أداء الحشاني اليمين الدستورية. وفتحت هذه الخطوة، على غرار مثيلاتها، المجال للتأويلات المعارضة والمؤيّدة، والتي لا تستند إلى أيّ معطى موثوق في ظلّ مواصلة سعيد انتهاج سياسة سدّ المنافذ أمام الصحافة.

ولم تخضع حكومة بودن لتقييم سياسي، ومثلما عُيّنت في صمت ووسط ذهول المتابعين من ضعف الرئيسة المعيّنة تاريخاً وشخصية، غادرت أيضاً في صمت ومن دون بصمة

> لم يتّضح ما إذا كان أعضاء الحكومة مُقالين أم باقين على رأس وزاراتهم

تُذكر. أما خلَفها، فلا يكاد يختلف عنها في شيء، بل يشترك معها في الغاية التي اختيرا لأجلها، وهي الاضطلاع بدور التسيير فقط والسمع والطاعة للرئيس، بل على العكس تماماً، فهو جسّد التصور الذي صاغه في دستوره الجديد، من خلال «كومبارسات» ضعيفة يحجبها بشخصه - إن لم يلغها تماماً - لكي لا تترسّخ في ذهن العامة.

ومن المنطلق نفسه، برزت شخصية أحمد الحشاني، خرّيج القانون من دفعة سعيد والموظّف الحكومي في البنك المركزي التونسي، والذي لا يجذب في سيرته الذاتية سوى مساره المهني المليء بالترقيات؛ إذ لا اهتمامات سياسية لديه ولا آراء ولا أفكار ولا تصورات. وحتى المعارضة لم تجد خلال بحثها في تاريخ رئيس الحكومة الجديد، ما يدعم موقفها المبدئي برفض كل ما يأتي من سعيد، لتقنع الجماهير برفضها له، سوى بعض منشورات على صفحات «فايسبوك» لم يتم التأكّد من صحة صدورها عنه. مع ذلك، ذهبت قيادات حزبية إلى الحديث عن أن الرجل تحوم حوله شبهات فساد في ملف مرتبط بالبنك المركزي. وبرأس محني أيضاً، ظهر الحشاني في فيديو أداء القسم أمام الرئيس، حيث لم ينبس ببنت شفة واكتفى بإيماءات الموافقة أمام ما كان يردّده سعيد من كلمات مكرّرة حول مصلحة التونسيين.

على أن خطوة تغيير رئيسة الحكومة، لم يرافقها أي حديث عمّا إذا كان أعضاؤها مُقالين أيضاً أم باقين على رأس وزاراتهم. على رغم أن دستور سعيد يقول إن إعفاء الرئيس يعني حلّ حكومته تلقائياً. كذلك، لم تتضح بعد حقيقة ما تواتر من أحاديث في أعقاب زيارة رئيسة وزراء إيطاليا، جورجيا ميلوني، برفقة المفوّضة الأوروبية، أورسولا فون ديرلاين، الشهر الماضي، إلى تونس، عن صفقة سياسية مع المعارضة لإشراكها في الحكم والإفراج عن المعتقلين السياسيين، بما يرفع الحرج عن المفوّضة الأوروبية في تعاملها مع نظام سعيد ودعمه مادياً وسياسياً من جهة، ويقدم للأخير نصراً بانتهاء المقاطعة الدولية له.

في كلّ الأحوال، أنهكت المعارضة التونسية خلال سنتين من محاولة الضغط على سعيد من دون فائدة، فلا الأخير قبل بتقديم تنازلات سياسية، ولا اقتنع التونسيون بالكفّ عن حالة التنصل من الشأن العام وتطليق السياسة. وفي خضمّ ذلك، لا نقاش حقيقياً حول ما يُطلب من هذه الحكومة وما يُنتظر منها، ولا حول الاستعدادات للمحطة الانتخابية المرتقبة بعد سنة، وسط تسليم ضمني بعدم إقامة الانتخابات أو تأجيلها واستمرار سعيد على رأس البلاد، سواء بالوسائل الديمقراطية أو من دونها.

المواد الأساسية، فيما لا تزال المالية العمومية في وضع حرج في ظل غياب مصادر اقتراض خارجية، واستحالة فرض مزيد من الضرائب مخافة قيام انتفاضة اجتماعية جديدة نتيجة انهيار القدرة الشرائية. ولم يشكّل ذلك المردود الضعيف لبودن مصدر إزعاج للرئيس، بل على العكس تماماً، فهو جسّد التصور الذي صاغه في دستوره الجديد، من خلال «كومبارسات» ضعيفة يحجبها بشخصه - إن لم يلغها تماماً - لكي لا تترسّخ في ذهن العامة.

ومن المنطلق نفسه، برزت شخصية أحمد الحشاني، خرّيج القانون من دفعة سعيد والموظّف الحكومي في البنك المركزي التونسي، والذي لا يجذب في سيرته الذاتية سوى مساره المهني المليء بالترقيات؛ إذ لا اهتمامات سياسية لديه ولا آراء ولا أفكار ولا تصورات. وحتى المعارضة لم تجد خلال بحثها في تاريخ رئيس الحكومة الجديد، ما يدعم موقفها المبدئي برفض كل ما يأتي من سعيد، لتقنع الجماهير برفضها له، سوى بعض منشورات على صفحات «فايسبوك» لم يتم التأكّد من صحة صدورها عنه. مع ذلك، ذهبت قيادات حزبية إلى الحديث عن أن الرجل تحوم حوله شبهات فساد في ملف مرتبط بالبنك المركزي. وبرأس محني أيضاً، ظهر الحشاني في فيديو أداء القسم أمام الرئيس، حيث لم ينبس ببنت شفة واكتفى بإيماءات الموافقة أمام ما كان يردّده سعيد من كلمات مكرّرة حول مصلحة التونسيين.

على أن خطوة تغيير رئيسة الحكومة، لم يرافقها أي حديث عمّا إذا كان أعضاؤها مُقالين أيضاً أم باقين على رأس وزاراتهم. على رغم أن دستور سعيد يقول إن إعفاء الرئيس يعني حلّ حكومته تلقائياً. كذلك، لم تتضح بعد حقيقة ما تواتر من أحاديث في أعقاب زيارة رئيسة وزراء إيطاليا، جورجيا ميلوني، برفقة المفوّضة الأوروبية، أورسولا فون ديرلاين، الشهر الماضي، إلى تونس، عن صفقة سياسية مع المعارضة لإشراكها في الحكم والإفراج عن المعتقلين السياسيين، بما يرفع الحرج عن المفوّضة الأوروبية في تعاملها مع نظام سعيد ودعمه مادياً وسياسياً من جهة، ويقدم للأخير نصراً بانتهاء المقاطعة الدولية له.

في كلّ الأحوال، أنهكت المعارضة التونسية خلال سنتين من محاولة الضغط على سعيد من دون فائدة، فلا الأخير قبل بتقديم تنازلات سياسية، ولا اقتنع التونسيون بالكفّ عن حالة التنصل من الشأن العام وتطليق السياسة. وفي خضمّ ذلك، لا نقاش حقيقياً حول ما يُطلب من هذه الحكومة وما يُنتظر منها، ولا حول الاستعدادات للمحطة الانتخابية المرتقبة بعد سنة، وسط تسليم ضمني بعدم إقامة الانتخابات أو تأجيلها واستمرار سعيد على رأس البلاد، سواء بالوسائل الديمقراطية أو من دونها.

براس محني، أدى الحشاني القسم أمام سعيد (الرئاسة التونسية)

تقرير

ترامب يواجه محاكمته الثالثة:
المهزلة الأميركية في أوجها

باتت في محفظة الرئيس الأميركي السابق، دونالد ترامب، ثلاث قضايا جنائية يعتزم خصمُه معه إلى السباق الانتخابي الذي لا تزال حظوظه في خوضه مرتفعة جدّاً. وإذ يبدو، على رغم «جدّية» المحاكمات (يُنظر إليها من جانب قطاع واسع من الأميركيين على أنها مسيّسة، أوّلاً لكون المحقّق الخاص في هذه القضايا، جاك سميث، ديموقراطياً؛ وثانياً لأن توقيت انكشافها إنّما يكتنف في طيّاته مساعي لدفع ترامب بعيداً من السباق الرئاسي، لإفساح الطريق أمام مرشّح آخر متخفّف من الفضائح، علماً أن جو بايدن أعلن في أكثر من مناسبة رغبته في منافسة ترامب، لإيمانه بأنه يستطيع تكرار سيناريو عام 2020، أنها لن تؤثّر في شعبية ترامب ونظرة قاعدته إليه، أو في إمكانية توليه الرئاسة - حتى إذا أُدين وأودع السجن -، تتوالى القضايا واحدة تلو الأخرى، وآخرها تلك المتعلّقة بدور الرئيس السابق في اقتحام صرح «الكابيتول» يوم السادس من كانون الثاني عام 2021، ومحاولته «قلب نتائج» انتخابات 2020، التي فاز فيها بايدن.

ومع توجيه المحقّق الخاص، جاك سميث، أربع تهم جنائية ضدّ ترامب، تكون قضيّة فدرالية ثانية قد فُتحت في حقّ الرئيس السابق (هي الثالثة في عهد الإدارة الحالية)، فيما من المقرّر أن يَمثُل المرشّح المحتمل لرئاسيات 2024 أمام محكمة اتحادية في واشنطن، اليوم. وتضاف هذه الاتهامات في القضيّة الأحدث، إلى 34 تهمة جنائية (في نيويورك) تتعلّق بدفع ترامب مبلغاً من المال وقدْره 130 ألف دولار لنجمة الأفلام الإباحية ستورمي دانييلز، مقابل شراء صمتها عن علاقة تقول إنها جمعتها في عام 2006؛ و37 تهمة جنائية في فلوريدا (تشمل تهماً من مِثل انتهاك قانون التجسّس، والإدلاء ببيانات كاذبة، والتآمر لعرقلة العدالة، وغيرها)، والمتّصلة بوثائق سرّية قرّر الرئيس السابق الاحتفاظ بها في منزله الكائن في منتجع مارالاغو، فيما يُرتقب أن يماط اللثام عن قضيّة رابعة في جورجيا، على خلفية مساعي ترامب إلى قلب نتائج الانتخابات في تلك الولاية.

وإذا كانت قضية الوثائق السرية من بين الأخطر، كما يراها اختصاصيّو القانون، علماً أن ترامب مثل فيها أمام القضاء الاتحادي، ثمّة مَن يعتقد أن محاكمته على خلفية اقتحام مبنى الكونغرس ومساعيه إلى قلْب نتائج الانتخابات لمصلحته، هي الأكثر خطورةً، ولا سيما أن التحقيقات في هذا الشأن بدأت مبكراً من قِبَل «لجنة السادس من كانون الثاني» النيابية التي استمعت على مدى العامَين الماضيَين إلى مئات الشهادات. وتقدّم لائحة الاتهام الجديدة الواقعة في 45 صفحة، صورة مفصّلة لما تقول إنها جهود ترامب في دفع مزاعم حول تزوير الانتخابات، واعتماده على المسؤولين في الولايات التي خسرها، من مِثل أريزونا وجورجيا وميشيغان، لدعم جهوده تلك. ووفق ما جاء في اللائحة، فإنه بعد فشل مساعي الرئيس السابق الأوّلية، ضغط على وزارة العدل لإطلاق الاتهامات «زوراً» بتزوير الانتخابات، كما أنه مارس ضغوطاً على نائبه مايك بنس، لإلغاء النتائج، بينما كان الكونغرس يلتئم للمصادقة على فوز بايدن، ومن بعدها دعا أنصاره المحتشدين في واشنطن إلى «القتال»، وهو ما حصل مباشرة قبل أن يتوجّهوا نحو «الكابيتول». واشتملت لائحة الاتهام الصادرة عن هيئة محلّفين اتحادية كبرى في واشنطن، على أربع جرائم تقول إنّ ترامب ارتكبها، من بينها «التآمر» و«الاحتيال» و«محاولة عرقلة العدالة»، وفق ما جاء على لسان سميث، الذي أكّد أن مكتبه سيطلب أن تكون محاكمة ترامب سريعة في هذه القضية، ذلك أن «الهجوم على الكونغرس في عام 2021، كان غير مسبوق على مقرّ الديموقراطية الأميركية». وجاء في لائحة الاتّهام أن «المتّهم، وعلى رغم هزيمته، كان مصمّماً على البقاء في السلطة. لذلك، ولمدّة تزيد على شهرَين بعد انتخابات الثالث من تشرين الثاني 2020، نشر أكاذيب حول وجود عمليّات تزوير غيّرت النتيجة، وحول أنه فاز بالفعل». مع ذلك، ووفق أستاذ القانون في جامعة كاليفورنيا، ريتشارد هاسن، الذي يُعدّ أحد كبار الخبراء الأميركيين في قانون الانتخابات، «لا يزال أمام ترامب طريق طويل لشغل منصب الرئيس في حال فوزه في انتخابات 2024». ويلفت هاسن، في حديث إلى «سي إن إن»، إلى أن الدستور الأميركي يحتوي على متطلّبات «قليلة جدّاً» لشغل منصب الرئيس، مثل أن «يكون عمرك 35 عاماً على الأقلّ»، ولكنه «لا يمنع عفو لنفسه في حال فوزه»، وإنْ كان من غير المعروف ما إذا كان سينجح في ذلك أم لا، لأن هكذا خطوة تحتاج إلى رأي «المحكمة العليا».

لقطة من يعتقدان محاكمة ترامب هي الأكثر خطورة (أ ف ب)

وكانت سارعت وزارة العدل الأميركية إلى إصدار أمر استدعاء في حقّ الرئيس السابق للمثول أمام المحكمة الاتحادية في واشنطن، لمواجهة هذه التهم الجديدة الموجهة إليه، والتي وصفها المرشّح الجمهوري المحتمل، بأنها «تدخّل فظيع في الانتخابات»، و«قرار يائس من قِبَل بايدن الذي يتراجع في استطلاعات الرأي»، مؤكداً أنه لم يفعل شيئاً «وتمّ توثيق طلبي إلى الأميركيين التصرّف بسلام وعدم اللجوء إلى العنف». وردّاً على سؤال حول لائحة الاتهام الأخيرة، قال محامي دفاع ترامب، جون لاورو، إنه يعتقد أن المحاكمة المحتملة قد تستمرّ «تسعة أشهر أو سنة»، مضيفاً أن موكله يستحقّ الوقت نفسه الذي يستحقّه أيّ أميركي آخر، قائلاً: «كل شخص في الولايات المتحدة له الحقّ في الإجراءات القانونية الواجبة، بمن في ذلك الرئيس السابق».

(الأخبار)

> سارعت وزارة العدل الأميركية إلى إصدار أمر استدعاء في حقّ ترامب للمثول أمام المحكمة الاتحادية في واشنطن

> أيّ شخص متّهم أو مدان أو حتى يقضي عقوبة في السجن من الترشّح لمنصب الرئيس والفوز بالرئاسة». وحول إمكانية أن يتولّى منصب الرئيس وهو داخل السجن، قال أستاذ القانون الدولي إن الكيفية غير واضحة، لكنّ ترامب قد «يحاول منح

تقرير

«مغارة» الدواء المهرّب: الفوضى الصحّية تقتل السوريين

رحاب الإبراهيم

«بفارق أقلّ من شهرين، فقدنا نوار وكرم، اللذين لم يتجاوزا عقدهما الثاني، بسبب تناول متمّم غذائي مزوّر من نوع معروف، اشتراه نوار عن طريق الأونلاين على أنه أصلي، لكنه كان قاتلاً». بهذه الكلمات، يروي عمّ الشابّين الشقيقَين، مامون زيدان، وهو من مدينة اللاذقية، لـ«الأخبار»، كيف وقع قريباه ضحية الأدوية المهرّبة، مضيفاً أن «العلبة القاتلة كادت تُنهي أيضاً حياة صديق لهما اقتسمها معهما، لكن تمكّنا من إنقاذ حياته بعد إخباره بنتائج التحاليل التي أجريناها». ويلفت مامون إلى «(أنّنا) حاولنا بكلّ الطرق معرفة مصدر علبة البروتين، لكن للأسف لم نعرف أيّ شيء بهذا الخصوص»، مشدداً على أهمية «توعية الشباب لمنع الانجرار إلى شراء المتمّمات من مصادر مجهولة، وتاميينها في الصيدليات، ومحاسبة من يتاجر بها على حساب حياة الناس».

شبكات تهريب

اتّسع نطاق المتاجرة بالأدوية المهرّبة خلال سنوات الحرب، بفعل ازدهار شبكات تستغلّ انقطاع الدواء المحلّي، وعدم توافر بدائل جرّاء الحصار، لتقوم بعملها الذي أزهق حياة كثيرين بالتواطؤ مع بعض الصيدليات. وينفي معظم أصحاب الصيدليات، الذين التقتهم «الأخبار»، تعاملهم بالأدوية المهرّبة، لكنهم يلمحون إلى إمكانية تورّط بعض مستثمري الصيدليات في شباكها طمعاً في الأرباح الكبيرة، على اعتبار أن الدواء المهرّب تُنزع عنه لاصقة المنتج المحلّي، وتُستبدل بها أخرى تُفيد بأنه منتج أجنبي، من أجل إغراء الزبائن باستغلال ضعف ثقتهم بالأول.

ومع أن الحكومة لا تزال توفّر أدوية السرطان مثلاً، والتي قد يبلغ سعر بعضها 1500 دولار، مجّاناً، إلّا أن تأخّر وصولها في الوقت المناسب من جرّاء العقوبات المفروضة على البلد تدفع البعض إلى استحصالها من طرق أخرى، وهو ما يستغلّه المهرّبون جيداً. لكن «المصيبة» أن هؤلاء يعمدون إلى توفير الدواء كيفما كان، عبر نقله مثلاً في صندوق سيارة كغيره من السلع من دون حفظه بالطرق اللازمة، فضلاً عن أنهم يعمدون أحياناً إلى شراء أدوية منتهية الصلاحية بأسعار رمزية وبيعها بأرقام فلكية على أساس أنها منتجات أصلية، والأمر ذاته ينطبق على الدواء المباع عبر «الأونلاين».

عقدة الأجنبي

تفضيل المواطن الدواء الأجنبي والمهرّب ليس وليد الحرب؛ فمنذ الثمانينيات، انتشرت هذه الظاهرة نتيجة عدم توافر منتج محلّي. لكن بعد ترخيص معامل الأدوية في عهد الرئيس الراحل، حافظ الأسد، بدأ الدواء المحلي يثبت فاعليته إلى درجة تصديره إلى 40 دولة، بحسب ما يقوله لـ«الأخبار» شاهين الحجي، وهو مدير العلاقات العامة في أحد معامل الأدوية المعروفة، رافضاً فكرة أن انتشار «المهرّبات» سببه انخفاض فاعلية الدواء السوري، ومعتبراً أن المشكلة تكمن في «عقدة الأجنبي».

ويلفت الحجي إلى أن «هناك رقابة مشدّدة على الدواء السوري، فإذا أثبت أنه غير مطابق للمواصفات السورية بعد سحب عينات عشوائية من الصيدليات والمستودعات وإخضاعها للتحليل، يُسحب المنتج من السوق وقد يشمَع خط الإنتاج. كما لا يُطرح أيّ منتج دوائي من دون موافقة وزارة الصحة بعد التأكد من فاعلية الدواء».

> تبرز أهمّية اتّخاذ خطوات من مثل دعم قطاع الأدوية بما يزيد الكمّيات المنتَجة محلّياً

وفي الاتجاه نفسه، يعتقد عضو «غرفة صناعة حلب»، وصاحب أحد معامل الأدوية المعروفة، والذي فضّل عدم ذكره اسمه، أن «الدواء السوري لا يقلّ كفاءة عن الأجنبي الذي يفضّله البعض بما فيه المهرّب، بسبب حالة نفسية معيّنة يعزّزها بعض الأطباء والصيادلة لمصالح معيّنة».

وعن إمكانية أن يكون لارتفاع أسعار الأدوية المحلّية دور في اتّجاه المواطنين إلى مصادر أخرى، يدافع المتحدثان بأن «معامل الأدوية أُجبرت على رفع أسعارها تحت ضغط ارتفاع تكاليف الإنتاج، ووزارة الصحة قبلت بذلك تجنّباً لانقطاع الأدوية المنقذة للحياة»، مستدركَين بأن «الدواء المحلّي لا يزال، مع ذلك، يعاني من موت سريري بسبب سعره المنخفض». وينصح الحجي من يفضّل الدواء الأجنبي بـ«شراء المستورد كونه مراقباً».

ما الحلّ؟

إزاء ذلك، تبرز أهمّية اتّخاذ خطوات من مثل دعم قطاع الأدوية بما يزيد الكمّيات المنتَجة محلّياً، وصولاً إلى تحقيق الأمن الدوائي الذي لا يقلّ أهمية عن الغذائي، بحسب الحجي، الذي يطالب بتشكيل لجنة من معامل الأدوية، وخاصة في حلب ودمشق، كونهما تضمّان أكبر تجمّع دوائي، لمعالجة مشكلات القطاع الدوائي وتطويره. كما يشدّد على «التعاون بين الجمارك ووزارة الصحة ونقابة الصيادلة لمكافحة الأدوية المهرّبة، وإجراء جولات مستمرة على الصيدليات»، فيما يعتقد صاحب معمل الدواء أنّ «تجنّب انقطاع الدواء المحلي يُعدّ الحلّ الأفضل لمنع المهربات، وهذا يفرض وضع تسعيرة منطقية مع دعم مطلق لصناعة الدواء».

إعلانات رسمية ◄

إعلان

تعلن بلدية المنصورية-المكلس-الديشونية، أنها وضعت قيد التحصيل جداول الرسوم البلدية على أبنية السكن وغير السكن وصيانة المجاري والإعلان لعام 2023

فعلى المكلفين وجوب تسديد الرسوم المتوجبة عليهم بما فيها السنوات السابقة خلال مدة شهرين من تاريخ نشر هذا الإعلان في الجريدة الرسمية، وكل تأخيرعن الدفع ضمن هذه المهلة يخضع لغرامة تأخير قدرها 2% شهرياً.

ويُعتبرهذا الإعلان بمثابة إنذار شخصي عن جميع الرسوم المتوجبة وقاطعاً لمرور الزمن

تاريخ: 2023/7/24

رئيس بلدية المنصورية- المنصوري-المكلس-الديشونية

وليم فريد الخوري

التكليف 153

إعلان لأمانة السجل العقاري ببعلبك الهرمل

طلب حسين علي زعيتر بصفته المُشتري سندات تمليك بدل ضائع بحصص البائعين نسيبه مسلم زعيتر ووداد ونهاد وعلي ومحمد وسعاد ومهدي ورشيد وزينب وحسين وحسن واكرم ومنى وورولى اولاد سعدو زعيتر بالعقار 2 جبعا

للمُعترض المُراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

عباس قاق

إعلان لأمانة السجل العقاري ببعلبك الهرمل

طلب علي عطا عبد الساتر بصفته مُفوضاً من جمال ترست بنك ش.م.ل شهادة قيد تامين بدل ضائع لجمال ترست بنك ش.م.ل بالعقارين 1043،1697 ايعات

للمُعترض المُراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

عباس قاق

وثيقة تبليغ مدنية

صادرة عن محكمة الاستئناف المدنية في بيروت

الرئيس نسيب ايليا

رقم الدعوى:2020/34

طالب التبليغ :ابراهيم محمد عيسى وكيله الاستاذان محمود وجلال المير

المطلوب تبليغهما: محمد خضر مكاوي وبلال فيصل مكاوي مجهولي المقام

الأوراق المطلوب ابلاغها: استحضار الدعوى ومرفقاته ورود 2020/8/27 وطلب اضافي ورود 2020/12/2

موضوعها: عقاري

فيقتضي حُضوركم بالذات أو من يُمثلكم قانوناً بموجب سند مصدق لاستلام الاوراق وإلا تجري المُعاملات بحقكم سنداً للمادة 409 أ.م.م

رئيس القلم

مرسال شديد

إعلان

صادر عن أمانة السجل التجاري في النبطية

بمُوجب الطلب المُقدم من المُستدعي عن أحمد حسين شرف الدين بوكالة المُحامية هبا رمال تاريخ 2023/7/27 والمُسجل تاجراً لدى أمانتنا برقم 6003434/ عام تاريخ 2016/4/27 تحت اسم محل أحمد شرف الدين للتجارة العامة والذي يطلب بموجبه تعديل اسمه التجاري ليصبح

Moderna Constructions

وبتاريخ 2023/7/27 تقرر النشر

الرقم المالي: 3204864

مُهلة الإعتراض عشرة ايام تلي آخر نشر

أمين السجل التجاري في النبطية

فاطمة فحص

إعلان

من أمانة السجل العقاري في البقاع

طلب المحامي حسين علي ياسين بصفته وكيلاً عن محمد جعفر سليمان المهاجر سند تمليك بدل عن ضائع للموكل بحصته بكامل العقار رقم 675 النبي ايلا

للمُعترض المُراجعة خلال 15 يوماً

أمين السجل العقاري المعاون بالتكليف لينا جنبلاط

إعلان لأمانة السجل العقاري ببعلبك الهرمل

طلب محمد احمد مرتضى لمورثه احمد حسن مرتضى سند تمليك بدل ضائع بحصته بالعقار 878 تمنين التحتا

للمُعترض المُراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

عباس قاق

إعلان لأمانة السجل العقاري ببعلبك الهرمل

طلب علي عطا عبد الساتر لمورثه عطا ديب عبد الساتر سند تمليك بدل ضائع بحصته بالعقار 712 ايعات

للمُعترض المُراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

عباس قاق

إعلان لأمانة السجل العقاري ببعلبك الهرمل

طلب علي حسن بدره لموكله ناصر ابراهيم عقيل سند تمليك بدل ضائع بحصته بالعقار 318 بدنايل

للمُعترض المُراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

عباس قاق

إعلان لأمانة السجل العقاري ببعلبك الهرمل

طلب جورج حنا شمعون بصفته مفوضاً بعقد البيع سند تمليك بدل ضائع بحصة البائع سامي بولس شمعون بالعقار 1022 سرعين.

للمُعترض المُراجعة خلال 15 يوم

أمين السجل العقاري

عباس قاق

استراحة

إعداد نعوم مسعود

كلمات متقاطعة 4371

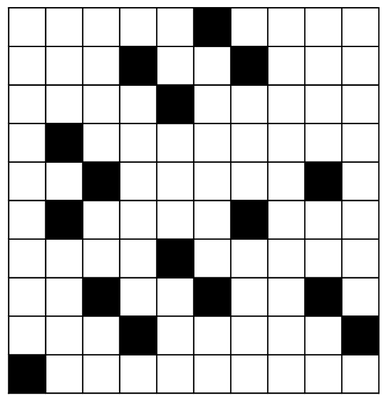

أفقيا

1- إمرأة لا تُنجب – ماركة سيارات – 2- يقطع القماش – ضمير منفصل – من الحبوب – 3- ورد أبيض عطريّ الرائحة – مدينة روسية – 4- فيلم سينمائي لفريد الأطرش – 5- كنيتهم – إليه مصري – 6- إختصر المقالة – رقميّ – 7- ماركة دهانات – عائلة رسّام فرنسي راحل إمتاز بإلهام شعريّ عميق – 8- للندبة – قام بهجوم – للتفسير – 9- قوة النظر والرؤية – قصد – 10- عالم وشاعر فارسي له «الرباعيّات»

عمودياً

1- بلدة لبنانية في قضاء الشوف – 2- أحلف بالله – شقيق بالعامية – والدة – 3- مقرّ السفير الفرنسي في لبنان – 4- بصوّت الضفدع – أحد متصرّفي جبل لبنان – 5- قائد قرطاجيّ فينيقيّ أشعل الحرب ضد روما – للتعريف – 6- قلق وحزن – أهدم البيت – اول الشباب وريعانه – 7- مصيف لبناني في قضاء عاليه – 8- رتبة عسكرية – للنداء – ضمير متصل – 9- إجتاح وخرّب – وقت بالأجنبية – 10- فنان شعبي مصري

حلول الشبكة السابقة

أفقيا

1- سنام – كوريا – 2- وطواط – بينو – 3- بلبل – مهبّ – 4- اكاي – منابر – 5- لوم – أعان – 6- صفاقس – وجوه – 7- يو – ستوري – 8- سماد – محو – 9- دب – نال – لسَ – 10- اواغادوغو

عمودياً

1- سور الصين – 2- نطّ – كوفو – دو – 3- اوباما – سبأ – 4- مالي – قسّم – 5- طب – استانا – 6- لمع – وداد – 7- وب – ناور – لو – 8- ريما نجيم – 9- ينهب – حلو – 10- اوبرا هاوس

sudoku 4371

	6			9				
5	3			7		9		1
								7
7			4		9			6
	1		5		2		9	
	8		6		7		5	
6				2			3	
9			7		8			5
	5		3	4	1		7	

شروط اللعبة

هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4370

8	1	4	3	6	7	5	9	2
9	3	7	2	5	1	4	8	6
5	6	2	4	9	8	7	3	1
6	5	3	9	8	2	1	7	4
7	4	8	1	3	5	6	2	9
2	9	1	7	4	6	8	5	3
3	7	5	6	2	4	9	1	8
4	8	9	5	1	3	2	6	7
1	2	6	8	7	9	3	4	5

مشاهير 4371

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي (1929-2007). من أعماله «الجريمة الكاملة»

2+8+7+9+3 = دولة آسيوية ■ 10+6+5+11 = أجوبة ■ 1+4+3+4 = من مشتقات الحليب

حل الشبكة الماضية: جوزف ابي ضاهر

جيوبوليتيك الذكاء الاصطناعي: عصر «الثورة الرابعة»

وهم الريادة الأبديّة

وليد شرارة

التطورات الهائلة في ميدان التطبيقات العسكرية للذكاء الاصطناعي تبعث آمال الدولة العميقة الأميركية بالسيطرة الأحادية الأبدية على المعمورة. أي تجاهل لسياق احتدام الصراعات الدولية الراهن، الناجم أصلاً عن السعي الأميركي المحموم للحد من انحسار هذه السيطرة، وارتباطه الوثيق بـ«الثورة التكنولوجية الرابعة»، وفي القلب منها الذكاء الاصطناعي، سيمنع من إدراك توظيفاتها الراهنة والمستقبلية الأكثر خطورة، ومفاعيلها على توازنات العالم الإجمالية.

ارتفعت أصوات كثيرة، في الغرب أساساً، للتحذير من التداعيات الداخلية الكارثية لهذه «الثورة» بالنسبة إلى قطاعات اجتماعية عريضة، بما فيها شرائح معتبرة من الطبقات الوسطى العتيدة، من مهندسين ومحامين وأطباء وغيرهم، باتت مهدّدة في المدى القريب والمتوسط بفقدان وظائفها لصالح خوارزميات الذكاء الاصطناعي، في حال تغلّب منطق الربح الرأسمالي الصافي على الحد الأدنى من الضوابط السياسية والاجتماعية التي تفرضها الدول عليه حفاظاً على استقرارها.

موازين القوى الاجتماعية الداخلية التي تزداد اختلالاً لصالح حفنة من أصحاب المليارات، وهم يمثلون 1% برأي البعض، و0,1% برأي البعض الآخر، من مجمل سكان الكوكب، والتداخل الكبير بين مصالح هؤلاء ومصالح النخب السياسية الغربية الحاكمة، لا تبشّر بالخير بالنسبة إلى الأغلبيات الشعبية في هذه البلدان. ولا شك أن مثل هذه الظروف ستقود إلى تجدّد وتعاظم الصراع الطبقي بأشكال وأنماط غير معهودة، بعد أن ظنّ كثيرون أنه أضحى جزءاً من مرحلة تاريخية تمكّنت «الديموقراطيات الليبرالية» من تجاوزها.

غير أن المفاعيل والتداعيات الأشدّ هولاً لتوظيفات الذكاء الاصطناعي ستتجلى على الأرجح في البقاع الواقعة خارج حدود «الحديقة الغربية»، حيث تخوض الولايات المتحدة وحلفاؤها مواجهة محمومة ضد «المنافسين الاستراتيجيين» وضد الدول والحركات المناهضة لهيمنتهم. لقد اجتاح الغرب بقية العالم في القرون الماضية وتحكّم بمصائر شعوبه وبثرواتها بفضل تفوقه في تقنيات القتل. «صلة رحم» تجمع التطور العلمي والتكنولوجي بتاريخ الاستعمار الغربي: من اختراع السلاح الناري والبندقية الآلية، مروراً بالمدافع والأساطيل البحرية، إلى سلاح الطيران والصواريخ، وصولاً إلى القنابل النووية والأسلحة الذكية بأنواعها المختلفة.

لكنّ إرادة المقاومة الصلبة للشعوب غير الغربيّة ولقواها التحرّرية، والخبرات التي اكتسبتها بعد مراحل طويلة من الصراع مع المستعمرين، هي جميعها عوامل مكّنتها من امتلاك السلاح بدورها، وابتداع أساليب المواجهة الملائمة التي عطّلت من فعالية التفوّق التكنولوجي وسمحت بإلحاق الهزيمة بالقوى الاستعمارية.

ولا شك أن كسر احتكار الغرب للتكنولوجيا العسكرية المتطورة، خاصةً تلك النووية، من قبل دول كالاتحاد السوفياتي ومن بعده الصين، قد حال دون استخدامها من قبل الأول عندما واجه مقاومة ضارية في كوريا أو في فيتنام.

نجاح الغرب اليوم في تحقيق التفوق النوعي في مجال «الثورة التكنولوجية الرابعة»، وهو أمر غير محسوم نتيجة للمنافسة الصينية القوية أساساً، هو التهديد الأكبر بالنسبة إلى شعوب الجنوب العالمي. فالطموح لاستعادة السيطرة على شعوبه ومواردها بالاستناد إلى قوة عسكرية جلّها من الروبوتات وآلات القتل الذكية، أي خوض الحروب بلا أكلاف بشرية، هو الذي يفسّر قبل أي عامل آخر الاستثمار المكثّف للعسكرية الغربية في ميدان الذكاء الاصطناعي. ملف «قضايا» الذي تنشره «الأخبار» حول «جيوبوليتيك الذكاء الاصطناعي» يهدف للمساهمة في فتح حوار عميق حول هذه التحدّيات الوجودية بالنسبة إلى شعوب منطقتنا ومستقبلها.

عن أفق تغيير العالم

الأمجد سلامة *

قفز الذكاء الاصطناعي إلى واجهة الحدث بداية من شهر كانون الأول من العام الماضي، حين طرحت شركة Open AI تطبيق ChatGPT بشكل مجاني. ومنذ ذلك الحين التقت العالم إلى إمكانية تطبيق الذكاء الاصطناعي في كل المجالات. واحتل المجال العسكري والاستخباري الحيز الأوسع من هذا الاهتمام. هذه المقالة لن تعالج حدود الذكاء الاصطناعي في التطبيقات العسكرية وقدرته على تغيير الموازين، سواء في الميدان أو على المستوى الاستراتيجي. بل ستحاول معالجة آثار دخول الذكاء الاصطناعي إلى المجالات كافة من منظور اقتصادي وتأثير ذلك على شكل العالم وتوزّع القوة فيه. وساعمد إلى استعمال إطار مبنيّ على أساس نظرية المنظومات العالمية.

أي السؤال الأساس سيكون: هل أن دخول تكنولوجيا الذكاء الاصطناعي إلى مجالات الإنتاج يمكن أن يغيّر أنماط التوزيع العالمية للثروة والفوائض الناتجة عن عمليات الإنتاج، بما يشكل تهديداً على التراتبية الحالية؟ بمعنى هل ستحلّ هذه التكنولوجيا

> نحن أمام تكنولوجيا ستعزز النمط الحالي لتوزيع الثروة في العالم

بموقع مركز العالم الحالي -وهو الغرب بشكل عام والولايات المتحدة بشكل خاص- في مقابل دول شبه الهامش ودول الهامش؟ مثلاً هل ستتمكن الصين من خلال انخراطها المبكر في إنتاج الذكاء الاصطناعي من التحوّل إلى مركز المنظومة العالمية اليوم أو تهديده؟ أو على الأقل هل ستتمكن من تسيّد منظومة عالمية موازية وخاصة بها؟

نقطة البداية هي السؤال التالي: ما هو تعريف الذكاء الاصطناعي؟ الإجابة على هذا السؤال ليست سهلة، فالتعريفات كثيرة، أولاً بسبب اتساع المجال، وثانياً لأن تعريف مفهوم «الذكاء صعب بحد ذاته. لذا سنلجأ إلى التعريف الأكثر شيوعاً، وهو أن الذكاء الاصطناعي مجال فرعي في علوم الكمبيوتر يتعامل مع البحث والتطوير لما يسمى «العوامل الذكية» (Intelligent Agents). و«العامل الذكي» يتميّز بقدرته على حل المشاكل بشكل مستقل ومن دون تفاعل بشري. وأهم الأمثلة على هذه المشاكل هي التفكير وتمثيل المعرفة والتخطيط والتعلم ومعالجة اللغة الطبيعية والإدراك والقدرة على تحريك الأشياء ومعالجتها.

وبحسب مهمة وقدرة «العامل الذكي» على التعامل مع المشاكل الآنفة الذكر يتم تصنيف الذكاء الاصطناعي بين ذكاء اصطناعي قوي أو ضعيف. فالذكاء الاصطناعي القوي - الذكاء الاصطناعي العام- يشمل جميع الأساليب التي تطور «العامل الذكي» الذي يسعى لحل المشاكل المتمحورة حول تصوير وتقليد العمليات في العقل البشري. علماً أن الأبحاث في هذا المجال لا تزال بعيدة عن إمكانية طرح حلول للاستخدامات في الواقع العملي. وفي المقابل، الذكاء الاصطناعي الضعيف -أو الضيق في بعض التسميات- يهدف إلى تطوير خوارزميات خاصة بهدف التعامل مع مشاكل معينة ومحددة. والحلول والأدوات، المجدية تقنياً، والتي أصبحت متوفرة اليوم ويتم استخدامها في حلول برمجية في مختلف المجالات العامة، تُصنّف كذكاء اصطناعي ضعيف. لذا محور هذا القسم من المقالة هو الذكاء الاصطناعي الضعيف.

ومن المتطلبات الأساسية لتطوير «العامل الذكي» القدرة على تحسين أدائه مع مرور الوقت بناءً على الخبرة والتكيف مع الظروف البيئية المتغيّرة المحتملة التي تحيط بالعامل. هذه العملية تُسمى «التعلم الآلي» (Machine learning). وما شهدناه في السنوات الأخيرة من قفزات في تطور الذكاء الاصطناعي كان في مجال «التعلم الآلي».

هناك عدة عوامل ساهمت في الطفرة التي شهدها مجال «التعلم الآلي». منها توفر البيانات الرقمية بشكل غير مسبوق وتطور قدرة الحوسبة، بالأخص على أثر تطور فعالية التخزين والخدمات «السحابية». يضاف إلى هذين العاملين عامل تحسن خوارزميات «التعلم الآلي» وتوفر مجموعات كبيرة من الأدوات والمكتبات المتاحة مجاناً لتطوير تطبيقات الذكاء الاصطناعي. وتكمن أهمية هذه الأدوات والمكتبات -ويمكن تسميتها بالنماذج الأساسية- في أنها تؤمّن المنصات الأساسية التي توفر الوقت والتكاليف على مطوّري التطبيقات التي تستعين بالذكاء الاصطناعي.

عنق الزجاجة

ومن هذه العوامل هناك عاملان مهمان لموضوع هذه المقالة. وهما بشكلان نقاط خنق أو «عنق زجاجة» في عمليات تطوير الذكاء الاصطناعي. العامل الأول هو تطور قدرة الحوسبة. فأهم تطور، ساهم في دفع الأبحاث في الذكاء الاصطناعي قدماً، كان تطوير «وحدة معالجة الرسومات» أو GPU. «التعلم الآلي» يحتاج إلى كميات مهولة من البيانات، وتطبيق الخوارزميات على هذه الكميات يحتاج إلى قدرة حوسبة رهيبة بالأخص إذا ما كان الاعتماد على «وحدة المعالجة المركزية» أو CPU. فيما أتاح تطوير الـ GPU إمكانية استعمال الحوسبة المتوازية (Parallel Computing) الأمر الذي ساهم في نقل البحث في الذكاء الاصطناعي من المجال النظري في الثمانينيات والتسعينيات إلى التطبيق العملي في العقدين الأخيرين. والشركة الرائدة عالمياً اليوم في مجال صناعة الـ GPU هي شركة NVIDIA الأميركية. وقد تحوّل التصفيق على تصدير الأجيال الحديثة من الـ GPU إلى جزء مهم من الحرب التجارية بين الصين والولايات المتحدة، ولا تزال الأخيرة تفرض، بشكل متتال، المزيد من القيود على تصدير NVIDIA للأجيال الأحدث من منتجاتها إلى الصين. ولكن بالرغم من هذه القيود، يمكن للصين أن تحاول تعويض هذا النقص من خلال سعيها الحثيث لتطوير صناعة الـ GPU المحلية.

والعامل الثاني، الذي يشكل عنق زجاجة في عمليات تطوير الذكاء الاصطناعي، هو تطوير الأدوات والمكتبات والنماذج الأساسية. وهذه النقطة الأخيرة تُعتبر في غاية الأهمية. فجلّ هذه الأدوات والمكتبات هي نتيجة استثمارات ضخمة من قبل الشركات العملاقة نُفذت في السنوات الأخيرة، سواء أكانت على شكل استثمارات مباشرة في فرق بحث وتطوير أم عن طريق الاستحواذ. فالكيانات الوحيدة القادرة على تحمل تكاليف تدريب النماذج على أحجام هائلة من البيانات والتي تمتلك رأس المال والبنية التحتية وقوة الحوسبة المطلوبة للقيام بذلك، هي الكيانات العملاقة. وهذه قامت ببناء «نماذج أساسية». ويكفي تتبع ما أنفقته شركات مثل «غوغل» و«أمازون» و«ميتا» و«أبل» و«مايكروسوفت» على التطوير والاستحواذ في هذا المجال لفهم حجم الاستثمارات التي ضُخت فيه في الولايات المتحدة الأميركية.

ولكن تصنيف هذا العامل على أنه عنق زجاجة ليس بسبب حجم الاستثمار المطلوب فقط. هنا تكمن العقدة الأساسية، والتي كما سنشرح هي السبب الأهم للتوقع بأن هذا القطاع سيعزز هيمنة الولايات المتحدة على الاقتصاد العالمي. حيث إن معالجة البيانات قبل تغذيتها للنماذج الأساسية هي العملية الأصعب، والجزء الأكبر من الاستثمار فيها يوجّه إلى عمليات معالجة البيانات. فجودة البيانات تؤثر على القدرة النسبية لنموذج الذكاء الاصطناعي على التنبّؤ بشكل صحيح. ومعالجة البيانات تنقسم إلى قسمين رئيسيين. القسم الأول هو رفع جودة البيانات، الذي يتجزّأ إلى ثلاث عمليات أساسية: تحضير البيانات وهي الخطوة الأولى، وتصحيح البيانات ومن ثم مراقبة جودة البيانات. والقسم الثاني هو تغذية البيانات إلى النماذج الأساسية.

وهذه العمليات تحتاج إلى جهود بشرية كبيرة للقيام بها. وهنا نحن لا نتحدث عن يد عاملة غير مدربة، بل عن الآلاف من المهندسين والمبرمجين الذين يقومون بتقييم البيانات ومن ثم تصحيحها قبل استعمالها في النماذج الأساسية لـ«تدريب» الذكاء الاصطناعي. وتغذية البيانات إلى النموذج عملية معقّدة بشكل خاص، حيث إنها إلى اليوم تُعتبر سرّ مهنة عند الشركات التي نجحت في تدريب نماذج. وفاجأني أحد الأصدقاء، وهو من المختصين والرواد في المجال، بأن عدد من يمكنهم ادّعاء إتقان عملية التغذية لا يتعدى الأربعين شخصاً حول العالم. يمكن فهم أهمية عمليات معالجة البيانات من خلال المقارنة بين فعالية النماذج المتوفرة اليوم بين أيدي المستخدمين. فالنماذج المتوفرة بشكل مجاني يمكن أن تبلغ نسبة 70% إلى 80% من التنبّؤ الصحيح. أمّا تحصيل العشرين بالمئة الباقية فهو الأصعب والأكثر كلفة، وهو الذي يتطلب الاستثمار الأكبر في إنتاج بيانات عالية الجودة وغير متحيّزة، وهو أمر يحتاج إلى عقلية جزئيّة تدفع إلى الأمام جهداً منصباً باتجاه البحث والتصنيف والتجربة المضنية. وهنا تبدأ الفروقات تظهر بين ما هو مجاني وما هو غير مجاني.

القبض على المستقبل

وكما في كل عملية إنتاج، تكمن أهمية نقاط الخنق أو عنق الزجاجة في أنّها تحدد الأطراف التي ستستحوذ على الجزء الأكبر من فوائض أرباح عملية إنتاج تطبيقات الذكاء الاصطناعي. ونحن نتحدث هنا عن قطاع يتوقع الخبراء والاقتصاديون أن يولّد 1,5 تريليون دولار إلى 5 تريليون دولار في الاقتصاد العالمي على امتداد العقد الحالي، بينما تصل التقديرات المتفائلة إلى حدود 10 تريليون دولار. وبينما يتركز النقاش بين الاقتصاديين حالياً على تأثيرات هذه الزيادة على شكل الاقتصاد الكلي والاقتصاد الجزئي، لم يتم التطرق إلى كيفية توزيع الفوائض المتحقّقة من الأعمال الاقتصادية المرتبطة بالذكاء الاصطناعي.

وهنا بيت القصيد. فمثلاً حينما تحتاج شركة إلى منصة مبنية على نموذج أساسي لتدريب الذكاء الاصطناعي في تطبيق معيّن تقوم بإنتاجه، ستلجأ إلى شركات مثل Open AI. والأخيرة ستطلب رقماً مالياً سيشكل جزءاً كبيراً من كلفة إنتاج التطبيق. وفي حساب عملية الإنتاج، من أول تأمين البنية التحتية إلى برمجة النماذج الأساسية -كهندسة برمجية ومعالجة بيانات وتدريب- حتى برمجة التطبيق، سنجد أن الجزء الأكبر من الفوائض المتأتية عن هذه العملية سيعود إلى شركات أميركية. وهذا بسبب استحكامها بنقاط عنق زجاجة تطوير الذكاء الاصطناعي.

وحتى لو أخذنا في الاعتبار الانخراط الصيني المبكر في تطوير وإنتاج الذكاء الاصطناعي -الانخراط الرامي إلى تحصيل «السيادة» على عملية تطوير الذكاء الاصطناعي- من غير المضمون الخروج باستنتاج مغاير. فحتى لو نجحت الجهود الصينية في اللحاق بتكنولوجيا NVIDIA في الـ GPU، من غير المعلوم إذا كانت ستتمكن الشركات الصينية من اللحاق بالشركات الأميركية في مجال معالجة البيانات، وبالأخص في ما خص الفعالية بمجال تغذية النماذج بها. وهذا يستتبع أن الصين لن تكون قادرة على القبض على نقاط عنق الزجاجة في عملية تطوير الذكاء الاصطناعي، مع ما يعنيه هذا من اضطرارها للقبول بموقعها في هذه العملية أو ذهابها إلى تسيّد عملية إنتاج أقل كفاءة وقدرة على المنافسة عالمياً.

فإذاً نحن أمام تكنولوجيا ستعزز النمط الحالي لتوزيع الثروة في العالم. مركز المنظومة العالمية -الولايات المتحدة بشكل أساسي- سيبقى يتحصّل على الفوائض الكبرى من عمليات الإنتاج، بينما الدول شبه الهامشية والهامشية لن تنتقل من موقعها الحالي الذي يحدده ما تحققه من فوائض.

ولكن هل هناك تكنولوجيا يمكن أن تشكل طفرة تغيّر النمط الحالي لتوزيع الفوائض والثروة في العالم، طفرة تغيّر منظومة العالم الواحد؟

البحث في وجود هكذا تكنولوجيا وأفق تطوّرها قد يكون موضوع مقالة أخرى. ولكن بشكل عام تطور التكنولوجيا بحد ذاته ليس كافياً لإحداث تغيير في شكل المنظومات العالمية. وامتلاك الأسبقية في مجال تكنولوجي طليعي قد يكون حجر زاوية، بين زوايا كثيرة، لتغيير المنظومة. لكنّ الأكيد أن الذكاء الاصطناعي ليس هذه التكنولوجيا الطليعية.

* كاتب وباحث لبناني

«فورين بوليسي»: التوزّع العالمي للتكنولوجيا التحويلية

نشرت مجلة «فورين بوليسي» في عددها الأخير (صيف 2023) ملفاً حمل عنوان «التدافع على الذكاء الاصطناعي». وتطرّقت إحدى مقالات الملف، للكاتب بول شار، وتحمل عنوان «ماذا يعني الذكاء الاصطناعي للقوة العالمية»، إلى التكنولوجيا والقوى التي تتحكّم فيها في العالم. وفي ما يلي ملخّص لما جاء في المقال:

يثير ظهور الذكاء الاصطناعي كتكنولوجيا تحويلية أسئلة مهمة حول تأثيره العالمي ومن سيستفيد منه.

تاريخياً، أثّرت التقنيات الجديدة على توازن القوى في العالم. فعلى سبيل المثال، انتشرت التكنولوجيا النووية في العديد من دول العالم، إلا أن من هذه الدول من امتلك القنبلة النووية، فيما دول أخرى لا تمتلكها. وهذه التكنولوجيا ساهمت في الثورة الصناعية وفي الهيمنة الاقتصادية والعسكرية لأوروبا وأدّت إلى التوسع الاستعماري.

في ثورة الذكاء الاصطناعي، التي انطلقت، يدور السؤال المركزي حول القدرة على تحصيل هذه التكنولوجيا المهمة والخطيرة وعلى توزّعها على مستوى دول العالم.

في البداية، كان الذكاء الاصطناعي مُتاحاً على نطاق واسع فانتشر بسرعة، مع وجود نماذج مفتوحة المصدر، يمكن الوصول إليها عبر الإنترنت. إلا أنّ التحوّل الأخير الدائر حالياً يرمي إلى بلوغ نماذج ذكاء اصطناعي عالية التأثير عالمياً وكبيرة في الأهداف والنتائج، مثل Chat GPT، الذي ركّز القوة في أيدي عمالقة التكنولوجيا القادرين على توفير الأجهزة المطلوبة لتطبيق هذه الأنظمة. ولا شك أن التوازن المستقبلي لقوة الذكاء الاصطناعي العالمية يعتمد على ما إذا كان هذا الذكاء سيظل منتشراً ويمكن الوصول إليه، كتكنولوجيا على نطاق واسع، أو أنها سر الأسرار، فتتركز مركزياً عند بعض الدول، على غرار ما قامت عليه التكنولوجيا النووية وأسرار إنتاج السلاح النووي، التي ما زالت ملك أيدي وعقول قلة من دول العالم.

يلعب الوصول إلى أجهزة الحوسبة دوراً مهماً في تحديد الفائزين والخاسرين في عصر الذكاء الاصطناعي. ويتطلب إنتاج نماذج الذكاء الاصطناعي الحديثة موارد مالية كبيرة، مع تشغيل آلاف الرقائق المتخصصة لفترات طويلة أثناء التدريب. ويقتصر إنتاج هذه الرقائق والمعدات اللازمة لتصنيعها على عدد قليل من البلدان، منها: تايوان وكوريا الجنوبية وهولندا واليابان والولايات المتحدة. يمنح هذا الوضع فرصة، للدول المذكورة، للسيطرة على إمكانية الوصول إلى المستلزمات المطلوبة لاحتكار أدوات إنتاج الذكاء الاصطناعي المتطورة. فعلى سبيل المثال، استخدمت الولايات المتحدة بالفعل هذا التحكم لتقييد ومنع وصول الصين إلى تلك الرقائق المتقدمة.

في مواجهة هذا الاعتماد على أجهزة الذكاء الاصطناعي، يصبح التحكم في الوصول إلى الأجهزة المتخصصة عاملاً حاسماً في تشكيل توازن القوى العالمية. على غرار كيفية استجابة الدول للعصر النووي من خلال التحكم في الوصول إلى إنتاج المواد النووية. فالتحكّم في الوصول إلى الأجهزة اللازمة لتدريب نماذج الذكاء الاصطناعي الكبيرة، سيحدّد توزّع قدرات الذكاء الاصطناعي في جميع أنحاء العالم.

يناقش هذا المقال ظهور نماذج ذكاء اصطناعي جديدة ذات أغراض عامة، مثل Chat GPT و GPT-4، التي تُعد أكثر تنوعاً وقدرة من أنظمة الذكاء الاصطناعي الضيقة التي سادت سابقاً. وتتمتع هذه النماذج بإمكانية تحقيق فائدة مجتمعية واسعة النطاق، ولكنها تشكّل أيضاً مخاطر كبيرة، حيث يمكن إساءة استخدامها في أغراض ضارة، بما في ذلك توليد معلومات مُضلّلة وهجمات إلكترونية وحتى في المساعدة على تطوير أسلحة كيميائية أو بيولوجية.

يؤدي تركيز قوة الحوسبة في أيدي عدد قليل من شركات التكنولوجيا الكبيرة إلى خلق فجوة، حيث يتعذّر على الأكاديميين واللاعبين الأصغر الوصول إلى نماذج الذكاء الاصطناعي المتطورة بسبب التكاليف المرتفعة التي ينطوي عليها الأمر. يمكن أن يؤدي هذا إلى إيجاد هوة في العالم تجعل فيه حفنة من الشركات محتكرة لأنظمة الذكاء الاصطناعي القوية، تصون سرية هذه الأنظمة، بشكل يحدّ، لا بل يمنع الآخرين من عالمنا من الوصول إليها.

أصبحت الجغرافيا السياسية لأجهزة الذكاء الاصطناعي قضية مهمة ترتبط أهميتها بأسباب الوصول إلى أشباه الموصلات، وهي عنصر مركزي في هذا المجال.

اتخذت الولايات المتحدة وحلفاؤها تدابير للسيطرة على قنوات تصدير رقائق الذكاء الاصطناعي المتقدمة ومعدات تصنيع أشباه الموصلات إلى الصين. وتركز جهدها للحد من إمكانية وصول الصين إلى هذه التقنيات، وتهدف هذه الدول إلى تقييد قدرة الصين على بناء وتدريب نماذج كبيرة للذكاء الاصطناعي.

لقد فرضت الولايات المتحدة ضوابط تصدير على رقائق الذكاء الاصطناعي الأكثر تقدّماً ومعدّات أشباه الموصلات الموجّهة إلى الصين، على الرغم من أن الرقائق نفسها ليست مصنوعة في الولايات المتحدة، بل في تايوان وكوريا الجنوبية، ولكن بواسطة استخدام أدوات أميركية. وحذت اليابان وهولندا حذو الولايات المتحدة بإعلان ضوابط تصدير مماثلة. الفكرة هي أن هذه الدول، مجتمعةً، تسيطر على 90% من السوق العالمية لمعدات تصنيع أشباه الموصلات. والجدير بالذكر أن ASML، وهي شركة هولندية، تحتكر آلات الطباعة الحجرية فوق البنفسجية الشديدة، التي تُعتبر ضرورية لصنع رقائق متطورة.

وهذا المنع يُشبه المنع من الوصول إلى تكنولوجيا أشباه الموصلات المتقدمة للتحكم في اليورانيوم العالي التخصيب، حيث قد يُصبح أصلاً استراتيجياً عالمياً يتمتع بقوة وقدرات هائلة.

تتمتع الولايات المتحدة وحلفاؤها حالياً بتميّزهما في هذا المجال، ولكن هناك مخاوف بشأن الانتشار السهل لنماذج الذكاء الاصطناعي القوية إلى الجهات الفاعلة الخبيثة أو الأقل وعياً بالسلامة العالمية.

إنّ تطوير ذكاء اصطناعي قوي ومزدوج الاستخدام تقوده الشركات الخاصة بشكل أساسي، يثير مخاوف بشأن سلامة أنظمة الذكاء الاصطناعي ومواءمتها مع القيم الإنسانية. في حين أنه لا ينبغي للحكومات التنافس مباشرة مع القطاع الخاص في تدريب نماذج الذكاء الاصطناعي الكبيرة، إلا أنها ضرورية في إنشاء أطر تنظيمية لضمان سلامة وأمن هذه النماذج. وقد أدّت المنافسة، التي يحرّكها الربح، في القطاع الخاص، إلى «سباق نحو القاع» على السلامة، حيث يتم نشر نماذج الذكاء الاصطناعي قبل أن تصبح آمنة تماماً. شاركت شركات مثل Meta و Stability AI في وضع نماذج على نطاق واسع، ما أدّى إلى الانتشار السريع من دون ضمانات كافية ضد سوء الاستخدام.

بشكل عام، يجب على الحكومات أن تتصرّف بسرعة لمواكبة التقدّم السريع لتكنولوجيا الذكاء الاصطناعي، والتأكد من وضع اللوائح المناسبة للتخفيف من المخاطر والحماية من الأضرار المجتمعية المحتملة.

ترجمة: ماهر سلامة

جيوبوليتيك الذكاء الاصطناعي: عصر «الثورة الرابعة»

السيطرة على العقول

ريجينا صنيفر *

مع دخول الذكاء الاصطناعي (AI)، بشكل متزايد وسريع وعلى نطاق عالمي، في كل مجالات الحياة اليومية، يستمر القوس الاستعماري، والذي لم يَنغلق تماماً مع العولمة، من هذه التكنولوجيا قوة دفع مذهلة. موجة تدافع جديدة وسباق تنطلق حالياً بين شركات السيليكون فالي لرفع علمها أولاً في موقع استراتيجي وحميم جداً: دماغنا. يبدو أن الصيغة التي استخدمها باتريك لو لاي، الرئيس التنفيذي لشركة TF1 في عام 2004، والذي أراد بيع «وقت الدماغ البشري المتاح» لشركة «كوكا كولا» قد مضى فعلاً عليها الزمن. اليوم، مع التقنيات الحديثة، يبدو «وقت الدماغ المتاح»، وفقاً لعالم الاجتماع الفرنسي جيرالد برونر في كتابه Apocalypse cognitive، أكثر اتساعاً وضعفاً في الآن نفسه.

«الدماغ البشري هو ساحة المعركة في القرن الحادي والعشرين»، يحرّر عالم الأعصاب الأميركي والخبير الكبير في الحرب المعرفية، جيمس جيوردانو أمام القوات المسلحة الأميركية. لكن أسلحة هذه المعركة صامتة ومكرة وأكثر فتكاً من البارود والأسلحة النارية.

مرحباً بكم في الغرب الأقصى المعرفي الجديد! ما هي التقنيات والآليات التي يستخدمها المستعمرون الجدد لممارسة السلطة؟ تظل السيطرة على الأجساد هي الهدف الرئيسي. ما هي السبل لضبطها ولتحكم بها؟ كيف يمكن فرض «السلوكيات المعيارية» التي أشار إليها ميشيل فوكو الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي في كتابه الرئيسي «المراقبة والمعاقبة»؟

إن السيطرة على الأجساد في خدمة السلطة ليست جديدة. التاريخ الغربي مليء بالأمثلة حيث شكل الاستيلاء المادي على أجساد السكان المستعمرين منذ نهاية القرن الخامس عشر للسيطرة عليهم واستعبادهم واستغلالهم هدفاً استراتيجياً للغزو ملازماً لمشاريع السيطرة على العالم.

مع الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر وفي قلب المجتمعات الغربية، تحوّل العامل في المصانع الجديدة إلى «ملحق للآلة» كما كتب كارل ماركس. عامل - آلة تكتفي بتكرار حركات بسيطة طوال الوقت. ومع التقسيم العلمي للعمل الذي وضعه FW Taylor والفصل الكامل بين مهام التصميم والتنفيذ، تم استبعاد العامل ووضعه تحت سيطرة «العارفين» الذين يقررون. دوره الوحيد يقتصر على إطاعة التوجيهات.

بروليتاريا القرن التاسع عشر أصبحت «سيبرتارية» القرن الحادي والعشرين حسب تعبير أنطونيو كاسيلي، عالم الاجتماع الفرنسي. جيوش عمّال النقر والأيدي الصغيرة تعمل باستمرار على إنتاج خوارزميات لصالح اللاعبين الاقتصاديين الرئيسيين وهم GAFAM (أي Google Apple,Facebook, Amazone, Microsoft).

مع وسائل الإعلام في القرن العشرين، استمر غزو الأجساد والعقول في خدمة القوى السياسية والمالية، وأصبحت قدرة السيطرة أكثر تعقيداً من خلال تحولها إلى شكل غير مادي. فبعد أن قامت الولايات المتحدة بصياغة العالم على صورتها (Shape the World)، تحاول صياغة الآراء وتغيير العقول (Shape the Mind) من خلال التحكم بالمعلومات.

وهكذا أصبحت الدعاية والمعلومات المضلّلة أساليب عمل في المجال السياسي والاقتصادي. أثار إدوارد بيرنايز، الأميركي وابن أخي فرويد، في عام 1928، الحاجة إلى توجيه أذواق المستهلكين من خلال الدعاية المنظّمة بدقة بهدف الاستحواذ على الأسواق. في وقت مبكر من الخمسينيات والسبعينيات من القرن الماضي، أسّس بحث وكالة المخابرات المركزية حول التلاعب بالعقل (الاسم الرمزي لمشروع MK-ULTRA) مفاهيم «القوة الناعمة». باسم غزو الأسواق وربحية الشركات والسيطرة على العالم، ينتشر تدريجياً استعمار جديد يفضّل التلاعب بالمعلومات على الاستناد إلى موازين القوى. إنه يستهدف العقول والتأثير، من خلال الإغواء أو الترهيب.

> بعد أن قامت الولايات المتحدة بصياغة العالم على صورتها، تحاول صياغة الآراء وتغيير العقول

من الدعاية الإعلامية، نحن حالياً مع شبكات الإنترنت وشبكات التواصل الاجتماعية والأخبار المزيّفة في قلب عصر ما بعد الحقيقة. أصبح التلاعب بادمغتنا، التي هي بمثابة أبراج تحكّم لأجسادنا، معقداً للغاية بفضل التقدّم في العلوم التقنية في المجال المعرفي وتقارب NBIC (تقنيات النانو، والتقنيات الحيوية، وتقنيات المعلومات، والعلوم المعرفية). إن تحقيق الهيمنة المعرفية يفتح الباب على مصراعيه للسيطرة على عالمنا العقلي والعاطفي وبالتالي أجسادنا. إنه تغيير في المشهد وفي حجم القضايا المعرفية.

علم التحكم الآلي، الذي يهدف إلى تكرار العقل البشري داخل آلة، يعزّز آليات القوة ويحول الذكاء الاصطناعي إلى رافعة قوية في عملية استعمار العقول. بحلول عام 2040، ستكون قرصنة الدماغ ممكنة، إذا صدّقنا الجيش الأميركي، إنه الغد القريب!

من المؤكد أن «ميتافيرس» بدوره سيدخل رقصة الحرب المعرفية من خلال طمس الحدود بين العالم الحقيقي والعالم الافتراضي. سيزداد تمييع وتسييل المناطق والدول القومية والمجتمعات والهويات الجماعية والفردية بدعم من القوى التأثيرية التي تعمل من أجل نظرية النوع الجندرية. إنها معركة منهجية تؤثر على البشر في علاقتهم مع أنفسهم، وفي علاقتهم بالآلة التي يمكن أن تتغلب عليهم وعلى روابطهم الاجتماعية التي أصبحت أكثر فأكثر افتراضية.

من منظورهم لما بعد الإنسانية Transhumanisme، يعتبر بعض الباحثين والمموّلين في هذا المجال، وفي خطاب خاص للغاية، أنه وعلى عتبة قُدّرت بالعقود من عام 2050 إلى عام 2060، «سيتجاوز الذكاء الاصطناعي الذكاء الإنساني بشكل كبير بحيث لا يمكن النظر في مستقبل البشرية». على حد قولهم، «سيُقسّم العالم بعد ذلك بين المختارين (أولئك الذين ستزيدهم التقنية والذين ستكون لديهم فرصة للبقاء على قيد الحياة) والساقطين (الآخرون homo sapiens)».

وهكذا سيتحول بعض «الهومو-سابينس» إلى «هومو-ديوس»، أي بشر-آلهة، كما يقول يوفال نوح هراري، المؤرّخ الإسرائيلي.

بعد تجريد الإنسان المستعمر من إنسانيته كما الإنسان المملوك، والعامل والفقير، باسم عالم أفضل، يحلم الإنسان المعزّز بالتكنولوجيا بأن يكون أمامه «متضائلون» محرومون من الذكاء، منظمون في مجموعات غير متمايزة في سجن افتراضي.

... هناك حاجة قصوى إلى باندونغ معرفي جديد.

* خبيرة في المنظّمات المتعلّمة والتغيير التنظيمي في العالم الرقمي

إيْنشر النص بالتعاون مع مجلة «2A magazine»]

> بعد أن قامت الولايات المتحدة بصياغة العالم على صورتها، تحاول صياغة الآراء وتغيير العقول من خلال التحكم بالمعلومات

الاستعمار الرقمي

خريستو المر *

كلّ إنسان يحبّ هذا العالم لا بدّ أن يشعر بالمسؤوليّة تجاه مصير الناس والبيئة، والمسؤوليّة تفترض معرفة ليتمكّن الإنسان من تلمّس الأفضل. من هنا، لا ينفع الحماس الأرعن ولا الخوف المكبّل في مسألة التعامل مع الابتكارات العلميّة. فكلا الموقفين يعكسان استسلام الإنسان أمام التكنولوجيا والشركات المنتجة لها، وبالتالي هزيمتنا ونصيحتنا لمفاعيل تلك التكنولوجيا السلبيّة، أو خسارتنا لمفاعيلها الإيجابيّة. ويعتمد الذكاء الاصطناعي، والتكنولوجيا الرقميّة عامّة، على البيانات (داتا) التي تعمل الخوارزميّات على تحليلها، واستعمال نتائج التحليل لاتّخاذ قرارات (عرض منتج للبيع، دعاية سياسيّة...)، لكنّ عمليّة حصول الشركات على البيانات منّا نحن المستعملين لمنتجاتها تقوم بعمليّة استعماريّة تشبه في طرقها وإيديولوجيتها إلى حدّ كبير الاستعمار التقليدي. وسنشرح في هذه المقالة باقتضاب الخطوط العريضة للاستعمار الرقمي.

عندما كان الإسبان المستعمرون الفاتحون الذين احتلّوا أراضي الملايين من السكّان الأصليّين في القارة الأميركيّة وقتلوهم، يريدون احتلال أراضي السكّان الأصليّين والبدء بعمليّة إخضاعهم واستغلال أراضيهم، كانوا يتلون عليهم شروط استعمارهم باللغة الإسبانيّة غير المفهومة لدى الشعوب الأصليّة، وتلك الشروط تتلخّص بـ«حقّ» الإسبان في إخضاع السكّان الأصليّين للسلطة الإسبانيّة واستغلال خيرات أراضيهم (وبالطبع تبشيرهم بالمسيحيّة). هذا الخضوع للسكّان الأصليّين أمام شروط المستعمر غير المفهومة هو تماماً ما نعيشه اليوم كمستهلكين للتكنولوجيا الرقميّة. هو حالنا أمام البرامج الإلكترونيّة ومنصّات وسائل التواصل الاجتماعي، إذ نوافق جميعنا على «أحكام وشروط» البرامج تلك المكتوبة بلغة تقنيّة قانونيّة غير مفهومة لنا. نقول «نعم» موافقين على شروط غير مفهومة صاغرين أمام شركات التكنولوجيا العملاقة وخضوعنا لسلطتها، كما كان السكّان الأصليّون صاغرين أمام مستعمر أكثر تقدّماً في التكنولوجيا الحربيّة. وبينما كان رفض السكّان الأصليّين لشروط المستعمر يعني محوهم عن وجه الأرض، فإنّ رفضنا لشروط وأحكام شركات التكنولوجيا يعني اليوم «فحْونا» عن المنصّات الرقميّة (فايسبوك، إنستغرام، تيك توك...). وبينما كان جنود المستعمر يحتكرون أسباب القوّة في الاستعمار التقليدي، فإنّ أسباب القوّة اليوم تكمن في المنصّات الرقميّة (والتركّز الاقتصادي). في الاستعمار التقليدي كانت مساحة ومدى مساحة الاستعمار الرقمي فهي كلّ المساحات الجغرافية حول العالم المتّصلة بالإنترنت. لكنّ الأمر الأكثر فداحة اليوم هو أنّ الاستعمار الرقمي اليوم يتسرّب إلى الحياة الاجتماعية فيقبض على تفاصيلها عبر المنصّات الرقميّة (منصّات التواصل الاجتماعي، هواتف ذكيّة، ساعات ذكيّة...)، بينما كان الاستعمار التقليدي يكتفي باحتلال الأرض والتحكّم بحياة العمل وتبقى رقابته وسلطته خارج معظم نواحي حياة الإنسان الاجتماعيّة.

> اليوم إيديولوجيا الاستعمار الرقميّ تقوم على فكرة «تحديث» حياة السكّان الأصليّين حول العالم، ونقلهم إلى التكنولوجيا الرقميّة من «ثورة» رقميّة إلى «ثورة» رقميّة أخرى

ماذا يشتري، كم خطوة يمشي، أيّ أماكن يزور، ما هو عمره، ما هو مدخوله. هذه النظرة الاختزاليّة إلى الحياة البشريّة، هذا الاختزال لحياة الإنسان في مجموعة من البيانات أمرٌ مشترك لكلّ من الاستعمار الرقميّ والتقليدي. هكذا، تتضاءل قيمة الإنسان كحياة، لتنمو قيمته كمصدر للربح، ككمّية. عوض العنف الجسديّ في الاستعمار التقليدي، فإنّ الاستعمار الرقمي قادر اليوم، بواسطة الذكاء الاصطناعي، على المراقبة الأدقّ والتحكّم الأكثر فعّاليّة في توجّهات الإنسان وخياراته من خلال عنف الإيحاء الدعائيّ الذي يحاصر الإنسان على المنصّات الرقميّة، ويضعضع قدرته على الحكم والتفكير النقديّ.

هناك أيضاً شبه إضافيّ بين الاستعمارين، فالاستعمار التقليديّ ينظر إلى الثروات الطبيعيّة على أنّها مواد خام «موجودة هناك» وتنتظر أن تُستخرَج، أي تنتظر المستعمر القادر على استخراجها من أرض المُستعمَر وتصنيعها لبيعها كبضائع للمُستعمِر. الأمر شبيه بالنسبة إلى الاستعمار الرقميّ حيث تعمل الشركات على ترقيم الإنسان المُستعمَر، أي تحويل حياته الاجتماعيّة إلى بيانات وأرقام وتخزينها، ثمّ تقوم باستخراج تلك الأرقام لدفعها إلى خوارزميات تقوم بدورها بإنتاج معرفة عن المُستعمَر تُستخدَم بدورها لبيعه بضائع أو خدمات الاستعمار التقليديّ. عبارة «البيانات هي النفط الجديد»، التي غدت شهيرة في مجال الداتا، تَشي بنظرة الشركات الاستعماريّة تجاه بياناتنا، فهي تُعاملها كأنّها مواد خام «موجودة هناك» لا يعرف كيف يستخدمها المُستعمَرون وتحتاج إلى شركات التكنولوجيا لتعمل على استخراجها واستخدامها في صناعة بضائع. والشركات تريد أن تقنعنا أنّها هي من تملك الحقّ في بياناتنا/المواد الخام، بينما الصحيح هو أنّ بياناتنا هي مُلكنا.

أدوات الإنتاج اليوم في آلة الاستعمار الرقميّ هي، أولاً، أجهزة إدخال وإخراج البيانات من منصّات رقمية (لـ مايكروسوفت، أو غوغل، أو ميتا)، وأجهزة رقميّة (هواتف ذكيّة، أجهزة استشعار) وأنظمة رقميّة. بالإضافة إلى تلك أجهزة الإدخال وإخراج البيانات، فإنّ أدوات الإنتاج تحتوي على أجهزة تخزين البيانات، وأجهزة معالجة البيانات.

لكن خلف كلّ استعمار تكمن إيديولوجيا. في الاستعمار التقليدي كانت الإيديولوجيا هي مهمّة «تحضير» السكّان الأصليّين أي تقلهم إلى «الحضارة»، اليوم إيديولوجيا الاستعمار الرقميّ تقوم على فكرة «تحديث» حياة السكّان الأصليّين حول العالم، ونقلهم إلى التكنولوجيا الرقميّة من «ثورة» رقميّة إلى «ثورة» رقميّة أخرى.

الإيديولوجيّتان تقولان الأمر نفسه: هناك مواد خام «موجودة هناك» (مواد طبيعيّة أو بيانات)، وهذه المواد الخام لا قيمة فعليّة لها، بل تحتاج إلى المستعمِر وتكنولوجيّته لكي تتحوّل إلى قيمة، وبينما كان يتمّ الاستيلاء على الموارد الطبيعية مجّاناً في البداية ثمّ بسعر منخفض حاليّاً، اليوم هناك استيلاء على البيانات مجّاناً. والإيديولوجيّتان تعتمدان على يد عاملة تعمل لقاء أجر زهيد: في الاستعمار التقليديّ عبيد يعملون مجّاناً ثمّ عمّال ذوو أجر زهيد. أمّا في الاستعمار الرقميّ فهناك عمل لكلّ إنسان لكي يساهم في جمع البيانات الرقميّة حول نفسه، هذه العمالة الضروريّة للشركات خفيّة وهي تتوارى تحت عنوان «المشاركة»: مشاركتنا لبياناتنا مع الشركات.

أخيراً، فإنّ النموذج الإيديولوجيّ في الاستعمار التقليديّ يقول إنّ الشركات الخاصة هي الكيانات «الطبيعية» لتحويل المواد الخام إلى بضائع «يستفيد» منها المستعمِر، بينما تقول إيديولوجيا الاستعمار الرقميّ إنّ الشركات الخاصة هي الكيانات «الطبيعية» لتخزين البيانات وخصخصتها، وإنّ ذلك سيفيد المستعمِر في النهاية. النتيجة أنّه يتم اليوم وضع المجتمع بأكمله، والحياة الاجتماعية في خصوصيتها، تحت تصرّف الربح.

* كاتب وأستاذ جامعي

للمجابهة بالخيال!

سعد محيو *

السؤال الكبير الذي سرعان ما يفرض نفسه حين الحديث عن بقاء الثورة التكنولوجية الرابعة، وعلى رأسها الذكاء الاصطناعي، تحت سيطرة الواحد في المئة من أعضاء «الطبقة الفائقة» الرأسمالية، هو: هل بإمكان شعوب الأرض ونخبها الأخلاقية والمتنوّرة مجابهة هذه الديكتاتورية المادية - الآلية الأعتى في كل التاريخ البشري؟

ونجيب هنا بسرعة: نعم تستطيع، وللأسباب الآتية:

أولاً: إن جنسنا البشري يمتلك طاقة خطيرة اسمها الخيال. إنه ذلك الجهاز الذي حفّزنا طوال التاريخ على خلق كل التطورات والتطويرات العلمية والتكنولوجية والفلسفية. ثمة إمكانات لا حدّ لها للخيال. إنه بمثابة «قوة عظمى» يمكن لكل بشري الاستفادة منها. لماذا؟ لأن كل حل لمشكلة ما يبدأ بقدر من الخيال. وبالعكس: العديد من المشاكل تُظهر بسبب الفشل في التخيّل بأنه يمكن حلّها، ما يؤدي إلى الانغلاق أو الاحتباس الإدراكي COGNITIVE LOCKDOWN. كل المشاكل الضخمة التي يعانيها البشر الآن سببها عجزهم عن تخيّل الحلول. الخيال يتضمّن الخلق والانفتاح على وسائل أخرى للتفكير، بشرط أن يترافق ذلك مع خطوات تنفيذية، لأنّ رؤية أو خيالاً من دون تنفيذ هي مجرد هلوسات. لا بل أكثر: البرت أينشتاين نفسه أعلن، بتعبير حاسم، أن «الخيال أهم من المعرفة. فالمعرفة محدودة لكن الخيال يحيط بالعالم».

حتى عتاة النظام المادي الرأسمالي يحاولون استخدام الخيال لحل مشاكلهم. فقد شكّل مديرو 91 مصرفاً مركزياً في العالم ما سمّوه «شبكة تخضير النظام المالي» NETWORK FOR GREENING THE FINANCIAL SYSTEM، وظيفتها «تخيّل» الحلول البيئية للأزمات المالية والاقتصادية.

وظيفة الخيال لدى الجنس البشري هي المغامرة في أرض مجهولة، وهذا ما يفتقده تماماً الذكاء الاصطناعي.

ثانياً: السبب الثاني لقدرتنا على المجابهة، بعد الخيال، هو الحب. أجل الحب. فهو قيمة تبادلية أزلية، لكنه احتاج طوال التاريخ البشري إلى مساندة القوة العملية لتفكيك المؤسسات الفاسدة التي تروّج لعكسه، أي للكراهية والحروب، ولبناء مجتمع إنساني جديد يقوم على الفرح والحب والبهجة والبساطة. الحب يعني أيضاً بناء شبكات التعاطف وخطط التعاون، ولذلك فهو ليس معطىً روحانياً وحسب، بل هو أيضاً عمل سياسيّ حيوي. وفي خضم الأزمات المرعبة التي تجتاح جنسنا البشري، أشدّ ما يحتاج إليه هذا الجنس الآن هو استعادة المعنى السياسي والمادي للحب. من دون الحب البشر، لا شيء: حاضر ميت ومستقبل حي، والهوة سحيقة بينهما لا يردمها سوى الحب.

ثالثاً: هذا الخيال وذلك الحب يمكّناننا الآن من تطوير حلمنا الكبير الجديد، وهو أن نضع التكنولوجيا في خدمة الإيكولوجيا (العميقة منها على وجه الخصوص)، كي ننقذ الحياة على الأرض من انقراض سادس مُحقق. بديلنا أن يكون الذكاء العام، الذي يُنتج الآن ثورة المعلومات، في مصلحة كل البشرية، فيوزّع نتاج الآلات على جميع البشر حسب حاجتهم، ويستخدم الأدوات التكنولوجية الجديدة ليس فقط لحل مشكلة الفقر والفاقة والأمراض والانفجارات الديموغرافية في العالم الثالث، بل أيضاً لتنمية مواهب مئات ملايين الأطفال بدل أن يكون هذا التطوير قصراً على ما يقلّ عن 0,1 في المئة في العالم من أطفال السوبر أغنياء.

ما نتحدّث عنه هنا ليس طوباويات مُحلّقة، بل هو يستند إلى حقيقة توقّف الرأسمالية عن كونها قوة تقدّمية من مصلحتها تطوير قطاع الطاقة، ستستطيع الطاقة الخضراء التقدّم في شكل قفزات كبرى لم يتوقعها الخبراء، وهي ستُحقق وقف انبعاثات غازات الحبيسة التي تريدها اتفاقية باريس للمناخ.

الحلول العلمية موجودة للكوارث العالمية كافة، البيئية والاجتماعية والديموغرافية، وهي عملياً لا تكلّف سوى قدر ضئيل للغاية من الثروة البشرية العامة (1 % من الناتج الإجمالي العالمي). لكن الطبقة الفائقة الرأسمالية ترفض بشبه إجماع الموافقة على دفع أيّ ضرائب لتحقيق هذه الأهداف، وتطالب الحكومات بتوفير هذا التمويل. ومن أين ستأتي الحكومات بهذه الأرصدة؟ ليس بالطبع من الشركات، بل من مواطني العالم.

الأغلبية الأخلاقية في العالم ليست بالتأكيد ضد التكنولوجيا، بل ضد من يستخدمها لأغراض أنانية وخاصة ومدمّرة للبيئة والكائنات الأخرى. وفي هذا السياق، هي تريد بناء مجتمع لا أناني. تريد إسقاط التسلّط الأرعن للإنسان على البيئة والطبيعة. تريد هوية حضارية كونية عالمية جديدة تُقوّض إلى غير رجعة الهويات الخرافية القاتلة الأصولية المتطرفة والقومية والأنانية الرأسمالية. تريد الخروج من كل هذه الجهنمات التي يعيشها البشر الآن.

وهذه ستكون المرحلة الثانية من تطور الوعي البشري، وستعني إطلاق طاقات مئات ملايين البشر بدل طاقات الـ7 مليارديين رأسمالي ونسلهم. ستعني ضخ المعنى لوجود الإنسان. ستعني انتقال الوعي بمساعدة التكنولوجيا إلى العوالم والأبعاد التي تقع وراء عالم الحس. ستعني نهاية التاريخ الماكيافيلي التناحري وبداية التاريخ الأخلاقي الروحاني، حيث التناقض الجديد هو بين محدودية العقل ولامحدودية الخيال؛ بين تشاؤم العقل وتفاؤل الإرادة، كما كان يقول غرامشي.

> همّ تتشكل هذه الأغلبية الأخلاقية؟

من الكثير من الحركات العالمية، أهمّها حركة العولمة البديلة التي نجحت للمرة الأولى في تحويل تيارات الاعتراض على السياسات النيوليبرالية إلى «شارع سياسي منتفض». وهناك تيار «التاريخ الكبير: فكّر كونياً، تصرّف عالمياً» الذي يدعو إلى الانطلاق من الكوني إلى المحلي، ويشدّد على أن نقل هذه الرؤية إلى عامة الناس يحتاج إلى سردية ورؤية تستطيع مواجهة الأيديولوجيات القومية والأصولية. رؤية تحمل الشعار: «الأرض بيت مشترك للبشر في الكون».

وهناك حركة «التطور الواعي» CONSCIOUS EVOLUTION التي يقول أنصارها إن وعياً جديداً بدأ يبرز في جيلنا لأن البشرية حصلت، في آن، على قوى قادرة على تدمير عالمنا، وعلى إعادة خلقه لبناء مستقبل هائل. هدف هذه الحركة هو تعلّم كيف يكون البشر مسؤولين عن التوجيه الأخلاقي للتطور بعدما وصلوا إلى مفترق طرق حاسم.

إلى تيار التطور الواعي، هناك حركة «الإيكو اشتراكية»، التي تدمج بين الماركسية والسياسات البيئوية الخضراء. وهناك الحركات البيئية على أنواعها التي تتصدّر الآن صفوف المجابهة مع العولمة التكنو - رأسمالية.

ولا يجب أن ننسى هنا تياراً مهماً ونافذاً، وخاصة في الولايات المتحدة، هو «عائلة الأرض»، تدعو إلى: قوة الشراكة، والخلق، والتطور المشترك، والثقة المتبادلة، والاهتمام، والتوزيع العادل للثروة، وحقوق المرأة، والاعتماد على الذات والتبادل الحر المشترك. ويرفض هذا التيار بقوة مفهوم الإمبراطورية في الاجتماع البشري، ويحذّر من أنه من دون نظام عالمي حضاري وديموقراطي جديد، سيحتاج البشر إلى كوكبين أرضيين جديدين، وأن ثلاثة أرباع البشرية سيعانون في عام 2025 من الجفاف.

باختصار، الحلم الإنساني الجديد يمتلك قوى حقيقية على الأرض، لكنها مبعثرة الآن. بيد أن توحّدها في لحظة ما مقبلة يبدو بالفعل حصيلة حتمية، بسبب التحديات الكبرى التي تواجه الآن معنى الحياة والوجود، وضرورة إسقاط التسلّط الأعمى والمدمّر للإنسان على أمّنا الطبيعة، وبناء الهوية الحضارية الكوزموبوليتية والكونية الجديدة التي ترمي معها الوعي الماكيافيلي والبربري إلى ما بعد رفوف التاريخ ومعه الهويات القاتلة القومية والأصولية منها والآنا الرأسمالية (الإيغو) المدمّرة.

مثل هذه الهوية الكونية هي الآن بطاقة خروج الجنس البشري من مروحة الجهنمات الهائلة التي يعيش، وبطاقة دخوله إلى المرحلة الثانية من تطور الوعي وإطلاق طاقات ملايين البشر، بدل حفنة ضئيلة للغاية من أولاد السوبر أغنياء. وهذه الهوية هي الإجابة المباشرة عن السؤال الذي طرحناه في البداية: هل تستطيع شعوب الأرض مجابهة ديكتاتورية الـ 1 في المئة؟ إجابة تقول: حتماً تستطيع... لكن شريطة التوحّد والتضامن والتكامل أولاً.

* مدير منتدى التكامل الإقليمي

[النصّ ملخّص لكلمة ألقاها الكاتب في المؤتمر الذي عقد في بيروت في 15 تموز الماضي بدعوة من منتدى التكامل الإقليمي وناقش تحدّي الذكاء الاصطناعي وتأثيراته على المنطقة]

على الغلاف

انسحاب مباغت للشاعر والمناضل الفلسطيني الشجاع

زكريا محمد

المثقّف الجامع الذي لم يساوِم

محمد ناصر الدين

«أعبر قبيل الفجرِ طريق المقبرة كي أسمع أغاني الموتى، وأغنّيها معهم. أجرّب أن أكون ولو لساعة واحدة عضواً في جوقتهم الكبيرة: دو ري مي فا صول لا سي. دو ري مي فا..هم يعرفون أنني أرفض موتهم. لكنهم يعرفون كذلك أنني أرفض حمل رسائلهم إلى ذويهم. لا أستطيع حمل الرسائل، لا أستطيع. «كل شيء إلا الرسائل»، أقول لهم. لذا فهم ينظرون إليّ عاتبين. عليهم أن يفهموا أن الموت هو انقطاع البريد عن الوصول، وأنه حتى عنيد مثلي لا يستطيع خرق هذا القانون.

أستطيع أن أعبر الحد، أن أكسر النجمة بحجري، بل وحتى أن أكون لساعة كاملة مغنياً في الجوقة، لكن إيصال البريد فوق طاقتي. وهذا ما يترك الموتى محبطين تتساقط رسائلهم من أيديهم مثل أوراق التين اليابسة. أما أنا فأمشي في طريقي عائداً إلى البيت بعد أن غنّيتُ. وأما الفجر فيمشي هو الآخر ورائي. يمشي في البدء حذراً مثل غزال رنة، يتلفّت يميناً ويساراً. ثم يتجرأ ويتابع خطاه، مطلقاً البخار والنهار معاً من منخريه. النهار يطلع من منخري غزال الرنّة. أما أغنية السلم الموسيقي فتغور في أعماق الأرض خلفي».

كان زكريا محمد (1951-2023) مثّل تلك الكائنات اللطيفة التي يظللها الغمام من المباركين والأولياء وأبطال الأساطير ولا سيما العربية التي شغف بها وحفر في الكثير من خفاياها ورموزها في مؤلفات أغنت المكتبة التراثية العربية مثل «نخلة طوى: كشف لغز الفلسطينيين القدماء» (2003)، و«عبادة إيزيس وأوزيريس في الجاهلية» (2009)، و«كتاب الحمس والطلس والحلة» (2012) و«ذات النحيين» (2010) وغيرها من الأبحاث الميثولوجية المثيرة للإعجاب والجدل معاً، بل كان في مقدّمة تلك الكائنات التي يرتفع معها الشعر فوق الكلمات ويتجاوز تخوم اللغة لينساب داخل الكون كلّه. منذ مجموعاته الشعرية الأولى مثل «قصائد أخيرة» (1982) مروراً بـ «أشغال يدوية» (1990) و«ضربة شمس» (2003) و«أحجار البهت» (2008) وليس انتهاءً بالمجموعات الأخيرة مثل «تمرة الغراب» (2022) و «زراوند» (2020)، أثبت زكريا محمد قدرة الشعر على تجاوز ذاته، وكشف عن إمكاناته في توسيع أي حدّ يحيط به ويدفعه إلى مداه الأقصى في اللغة: نرى ونسمع عبر كلمات تلك اللغة وفي المسافة بين كلماتها، بل هي أشبه بما يتكلم عنه بيكيت عن حفر ثقوب في اللغة من أجل رؤية أو سماع ما هو كامن في الخلف: «السهل الموحش الذي يدعى الليلُ/ والأيدي المقرورة تريد حطباً كي تتدفأ/ وأنا الذي اتبدى كشجرةٍ ملزم بأن أجعل أغصاني طعاماً للنيران/ هذا ما يسمونه الذكريات»، لينطبق على صاحب «الجواد يجتاز إسكدار» ما يقوله الفيلسوف الفرنسي الراحل جيل دولوز عن الشاعر: «إنه يصير، إنه سميع، إذ من لا يُحسن الرؤية لا يحسن القول. إنه رسام، إنه موسيقار، وحدَه مقدود من هذه الرؤى والسماعات غير اللغوية لكنّ اللغة وحدها هي التي تجعلها ممكنة». يمكن القول إن شعر زكريا محمد بأكمله كان محاولة للتحرر من هذا الحد ليشكل الشعر فضاء زمانياً ومكانياً يعاد اختراعه باستمرار. كانت مجموعة «كشتبان» (2014) نقطة مفصلية في مسيرة زكريا محمد الشعرية، إذ كانت مختبراً فعلياً للتجريب الشعري وتضارب ذراتها ومكوّناتها بعضها ببعض لترتفع بالنص إلى النص المطلق، أو إلى السديم الكامن خلف اللغة أو عند تخومها: «منذ كشتبان حدث تحوّل شامل في شعري، تغيّر خلاله طابع قصيدتي بشدّة. حتى إنني لم أعد أرغب في استعمال مصطلح قصيدة لوصف ما أكتب منذ «كشتبان»، مفضّلاً عليه مصطلح مقطع أو مقطوعة. فالبناء تغيّر، والإيقاع تغيّر والقاموس اختلف واتّسع. كانت قصيدتي قبل تلك المجموعة تصعد إلى نهايتها بوضوح وانتظام، وبلا تلعثم. ثم أخذت تتشتّت نفسها، ويُضاربُ بعضها على بعض، وينقضه. ومن خلال هذه المضاربة،

> آمن بأحقية الكفاح المسلّح لاستعادة كامل التراب الفلسطيني

تفتح المقطوعة الباب لشوق غامض وحنين مُبهم، يطرح القارئ أو السامع في سديم يشبه سديم ما قبل خلق السماوات والأرض». الميزة الثانية في لغة زكريا محمد الشعرية هي أقرب لما يقوله بروست في كتابه «ضد سانت بوف»: «الكتب الحميمة مكتوبة في ضرب من لسان أجنبي»: إنها أقرب إلى قصيدة مترجمة من لغة تؤدي كل ما يقوم به الأدب الجيد بحسب بروست، شعر ينفلت كقمر مستقلّ عن المجرة التي حدّدها العملاق محمود درويش للقصيدة الفلسطينية، إذ إن شعر زكريا محمد «يرسم في اللسان نوعاً من اللسان الأجنبي الذي ليس هو لساناً آخر، ولا لهجة مستعادة، وإنما صيرورة أخرى للغة تصغير لهذا اللسان الأكبر، هذيان يجرفه، خط عجيب ينفلت من النظام نفسه»، والقول لدولوز نفسه. الشاعر والباحث الذي ولد في بلدة «الزاوية» قرب نابلس عام 1950 درس الأدب العربي في جامعة بغداد وتخرّج فيها عام 1975، ثم انتقل إلى بيروت، ليعمل في الصحافة الثقافيّة، ويتنقّل بين بيروت وقبرص وتونس وعمّان، قبل أن يعود إلى رام الله في عام 1994 عقب اتفاقية أوسلو ليتولى منصب نائب تحرير صحيفة «الكرمل» التي ظل الشاعر محمود درويش رئيساً لتحريرها منذ عودة صدورها عام 1996. كما نال جائزة محمود درويش للثقافة والإبداع عام 2020.

بات زكريا محمد يهجس بالموت بعد مرض أخفاه عن محبيه ومتابعيه: «الموت قبيلة كبيرة. خيلها كثيرة ترعى في السهب، والمطر يتساقط على أعرافها. أما الحياة فقبيلة فقيرة: قبضة تمر، وقبضة ريح». بدأت نصوصه تتطعّم بالمرارة ولا سيما بعد اعتقاله مرات عديدة من قبل «أجهزة أمن السلطة» في السنوات الماضية، إذ إن الشاعر المؤمن بعدالة القضية الفلسطينية وأحقية الكفاح المسلّح لاستعادة كامل التراب الفلسطيني، لم يكن ليهادن سلطة تحولت برأيه إلى «نظام قمعي يعمل لمصلحة الاحتلال». الشاعر الشجاع المعترض على أوسلو لم يتوانَ عن تقديم العون للكثير من الكتاب الفلسطينيين الشباب ممن وجدت نصوصهم طريقها إلى النشر في مجلة «فلسطين الشباب» التي تولى تحريرها بعد استقالته من «الكرمل»، كما كان مثالاً للمثقف الملتزم والمشتبك الذي يحترمه خصومه وكذلك أصدقاؤه. رفضت لغة زكريا محمد الموت حتى خلناه اليفاً لا يؤذي: «لا أريد أن أموت قبل أن يمتلئ رأسي بأسماء الزهور. ساخدنا كلها معي. وإن سهوت عن واحدة فساعود لأجلي. وأخذها. سأجعل الموت مهرجان زهور وعطور». احد نصوصه الذي يمتزج به الشعر بالموت، يجعلنا نفهم كيف يدفع هذا الشاعر باللغة إلى نقطة غنائها المختلف أو صرختها، أو سديمها ما قبل خلق السماوات والأرض: «منحني الله وقتاً مستقطعاً. كان يريد أن يقيضني، غير أنه قرر أن يمنحني سنوات قليلة أخرى أدبّر فيها أمري. وأنا كنت ممتناً له. فقد كنت راغباً في أن أضرب بسهمي بين الأسهم. وقد ضربت، لكنّ سهمي خاب، وكانت النتيجة صفراً. وهكذا هي الحياة: عند الحساب الأخير يكون الناتج صفراً تقريباً. أضع الصفر المستدير مثل كرة أمامي، وأقول محاولاً خداع نفسي: اسمعي يا نفس، هذا ليس صفراً. هذا حجر الفلاسفة. هذا نشيد الأناشيد. فاشكري الله على نعمه. اشكري له أنه أعطاك الوقت المستقطع. منحني الله وقتاً مستقطعاً. وقد فهمت بشكل ما أنه أعطاني الوقت المستقطع من أجل شيء ما. لكنني لم أكن متأكداً من هذا الشيء».

لا يلبث محمد أن يعطينا الرؤية المضادة للموت، إنه الشعر وحده الذي كان زكريا أحد ألطف كائناته: «وفي لحظة قلت في نفسي: ربما يكون هو الشعر، ربما يكون هو الشعر. ربما أراد الله مني مجموعة من خمسين مقطوعة كي تكون كتاب أغانٍ للأطفال، ومن أجل هذا رميتُ نفسي مستقتلاً على الشعر. لكن لم اختارني أنا كي يعطيني الوقت المستقطع؟ لم اختار أن يخرق قانونه من أجلي؟ أكنت أنا فرس رهانه؟ ولم يكن لديّ أي دليل على هذا. مع ذلك فقد تصرفت كأنني فرس الله. رمحت كأنني فرسه الكميت، وصفّرت في الهواء كأنني سهمه المقذوف. واليوم اقترب الوقت المستقطع من نهايته: النار تأكل أشجار التنّوب، وأنا أمسك بالصفر الذي حصلت عليه، وأغني».

«زراوند»

الأمل بتنّورته القصيرة!

تحسين الخطيب *

تنطوي «زراوند» (دار الناشر - رام الله . 2020) المجموعة الأخيرة للشاعر الفلسطيني زكريا محمّد على خصائص «شكليّة» تجعلها مختلفة عمّا هو سائدٌ، «الآن»، في كتابة «القصيدة» في العالم العربيّ. فالملمح الأساسيّ الأوّل، على صعيد الصَنْعة «البرّانيّة» (و«البرّانيُّ»، هُنا، ليس مجرّد «كسوةٍ»، وإنّما هُوَ «انعكاسٌ» لصورة «الجوّانيّ»، بكلّ تجلّيات وجوده، و«تعدّد» أحواله ومقاماته) هو غياب «النَّسْمية» أو «العُنْوَنَة»: فجميع قصائد الكتاب بلا «أسماءٍ» أو «عناوينَ»، وليس ثمّة حتّى فهرست يشي بمحتويات الكتاب، بل يجد القارئ نفسه في مواجهة القصائد، واحدة تلو أخرى، منذ الصفحة الأولى وحتّى آخر الديوان. تتابع القصائد، كمتواليةِ أنفاسٍ، غُفْلًا من كلّ شيءٍ إلّا من تاريخ كتابتها، المرقونِ في طرف الركن الأيسر للصفحة. التاريخ، هُنَا، هو «اسمُ» القصيدة، أو «عنوانها» الحقّ؛ تاريخ أنفاس الشاعر، وعذاباته، في لحظة التجلّي؛ لحظة «المخاض» العسير. كأنّ الشاعر يريد أن يقول: لن أسمّي قصائدي؛ فالتّسمية «موتٌ»: فكلّ «مُسمًّى» (المعلوم المُعيَّن) لا بُدّ له، في آخر المطاف، مِن «مِيْتَةٍ» مفترضَة (مجازيّة كانت أم حقيقيّة). لذا، أيّها القرّاء، سأترك لكم تواريخي؛ فقصائدي تواريخي، والتّاريخُ باقٍ، حيٌّ لا يموت!

بَيْدَ أنّه لا يُقدّم تواريخه، هذه، وفقَ تسلسل زمنيّ (كرونولوجيّ)؛ زمن «الحَدَث»، الحدث المتحقّق وفق شرط وجوده (فالقصيدة الأولى، على سبيل المثال، كُتبت في سنة 2018، والثانية في عام 2019، والأخيرة وما قبلها في سنة 2013) بل وفق تسلسل قد يبدو، لأوّل وهلةٍ، عشوائيّاً، ولكنه مقصود: خلطُ الفواصل الزمنيّة (فواصل لحظة الكتابة)، بعضها ببعض، حتى يغدو الزّمن (دورة حياة هذه التواريخ/ القصائد) زمناً دائرياً، لا أوّل له ولا آخر، يعيش في «نَفْسه» إلى الأبد: فالقصيدة، عند زكريا محمّد، في مجموعته الثّامنة، هذه، كونٌ دائريّ — ذ «الكونُ دائرةٌ»، كما يقول في القصيدة الأولى، و«كلُّ شيء/ يسافر من نقطة على محيط الدائرة ثمّ يعود إليها».

ولكنّه، في المرّة الوحيدة التي يختار فيها «النّسمية»، فإنّه يُسمّي الكُلّ الجامعَ: يُسمّي «الجسمَ»، دونَ أعضائه. فالعنوان «الوحيد» الذي يتركه لنا الشّاعر، هُنَا، هو «زراوند»: «العشبة المعمّرة التي كأنّها الشعر (بطبيعته المتحوّلة) في عين ذاته: فهي معمّرة، ولها أكثر من خمسمئة نوع، وتُعرف بأكثر من اسم ذي دلالة «شعريّة» بالغة (غليون الهولنديّ، عنق الجَمَل، فقّوس الغول، قِثّاء الحيّة) تنمو، على أكمل وجه، في التربة الطينيّة والرمليّة (ليست تربة الشّعر، في أصلها، تربة طينيّة، لزجة، ورمليّة متحرّكة؟). ولا يرد هذا الاسم، في المجموعة كلّها، إلّا على الغلاف. فالزراوند، هنا، هو الاسم الجامع؛ والديوان، إذاً، هو «كتاب الزراوند»: كتاب الولادة! فالكلمة، في أصلها اللّاتيني (أرسطولوخيا)، مشتقّةٌ من «أرسطوس»؛ وتعني «الفاضل والأمثل» (ومن هنا جاء اسم الفيلسوف الأكبر أرسطو). و«لوخيا»، وتعني «الولادة». كأنّ «الولادة»، هنا، في هذه المجموعة، هي «الولادة المُثلى»؛ ولادةٌ على «النّقيض» التامّ من الطّقوس التي كانت تمارسها النسوة، في الأزمنة الغابرة، حين كُنّ يخلطن «الزراوند» بلحم ثور، إن رغبن في إنجاب ذكر؛ ولادةٌ يلجأ زكريا محمّد، من أجل تحقّقها الأمثل، وفق طقوسه الشعريّة الخاصّة، بخلط «زراونده» بلحمه هُوَ، كي يلد الأنثى: أنثاه هُوَ: القصيدة!

والملمح الشكلي الأساسيّ الآخر، في هذه المجموعة، هو غياب «التشطير»، بخلاف «السائد» في كتابة «القصيدة» في العالم العربيّ. فجُمل القصيدة، عنده، تتدفّق وراء بعضها، مقيمة في كونها الدائريّ. ولأنّها تقيم في محيط الدّائرة، فهي لا تسعى إلى تربيع هذه الدائرة (على شاكلة قصيدة النثر التقليديّة، في الشعريّة الغربيّة) وإنّما تَتْبَعُ مسارَ الأنفاس، حتّى إنّ الشاعر يلجأ في خواتيم القصائد إلى كسر نمطيّة الكُتلة النثريّة، بتشطير/ تشظية الجُملة إلى سطرٍ شعريّ أو سطرَيْن. وهذا الكسر لنمطيّة الكتلة، بتنا نشهده، في الآونة الأخيرة، في الشعريّات التجريبيّة الغربيّة. المعنيّة بكتابة القصيدة بالنثر، كنوع من كسر حدّة الألفة البصريّة لدى القارئ المعتاد على كتلة النثر. إنّ هذه «التجريبيّة»، التي يمارسها زكريا محمّد، في كتابة القصيدة، سواء في ديوانه الجديد هذا، أو في مجموعتَيْه السّابقتَيْن، «كشتبان» (2014) و«علندى» (2016)، تُعَدّ إضافة نوعيّة (تُحسَب له) لـ «نوع» القصيدة التي تُكتب الآن في العالم العربيّ.

يفتتح زكريا محمّد «زرواندِه» بفقرة تكاد تكون «عتبة» الولوج إلى عالمه الشعريّ: «فجأة ردّ لي الموت ما أخذه مني. وقفتُ عربته أمام/ بيتي، وأنزلت كل شيء: أحبّتي الذين اختطفهم مني/ أصدقاء طفولتي، والأمل بتنورته القصيرة». يحضر الموت، في هذه الافتتاحيّة، على عكس صورته المتجسّدة في القصيدة الشهيرة، «العربة»، التي كتبتها الشاعرة الأميركية العظيمة إيملي ديكنسن (1830- 1886): فالموت، في كلتا

القصيدتَيْن، يحضر في عربته، ولكنّه لا يأتي ليأخذ الشاعر إلى الحياة الآخرة — كما هي الحال عند ديكنسن — وإنّما ليعيد إلى الشاعر، من «الحياة الآخرة»، كلّ شيء أخذه منه. هذه الإعادة هي التي تُعيد الحياة (أو الأمل بتنّورته القصيرة) إلى نقطة البَدْء: نقطة الخلق الأولى؛ فبعد أن يُكمل الموتُ «دورته» المفترضة، يُعيدُ الأشياءَ إلى أصلها، في «الكون الدائريّ»: إلى محيط الدائرة: «فالموتُ ذاتُه حصانٌ يجري على هذا المحيط. يحملُ حمله ثم يفسخه. يأخذ القتيل ثمّ يردّهُ». يجري الموت في هذا «المحيط» الذي لا يكفّ من الدوران على نَفْسه، فلا نهايةَ للزمن، وإنّما هو تعاقُب الموت والحياة في تقاسُم «أدوار» الولادة، بين الإثبات والمَحْو، فَـ «الموتُ حرّاثٌ. يصيحُ ببغلته: دي . . . دي، ويشقُّ ثلمه الطويل. ثلمه لا يتوقّف أبداً، وبغلته لا ترتدُّ».

إنّ ثيمة الموت (في تعاقب أدوارها مع الحياة) أساسيّة في هذا الدّيوان؛ فهو «كسّار النوافذ»، وهو «الطريق التي يمشي فيها الشاعر ثمّ يعود منها... والنّصُّ غير منقوطٍ». ولكنّها الطريق التي سوف تفضي بالشّاعر إلى «بابٍ آخر للحياة لا يعرفُ عنه الموت، ولا يستطيع أن يأتي منه»، ذلك الباب الذي سوف يدخل الشاعر، «بعدَ أن تضرب نسرينُ بمندفها الموتَ في داخله، ويضربُ طائر الطّنان بجناحيه ماضي (الشّاعر) ومستقبله»، إلى حياةٍ لن يأتي إليها الموتُ «قبل أن يفتّح (لَهُ) سرّ زهرة الكتّان. وقبل أن يتقطّع بين يديه وتر الكمان».

ولأنّ الموت، بعربته وبغلته، حاضرٌ بقوّة في «محيط الدائرة»، التي تتعاقب فيها فصول الحياة، فإنّ الشّاعر يُمجّد الطبيعة الأمّ، بمعجم زاخر بأسماء الحيوانات والنباتات، ولكنّ هذا التّمجيد لا يحتفي بالطبيعة، في حدّ ذاتها، بقدر ما يحتفي بقوّتها التدميريّة: الموت!

زكريا محمّد صانع ماهر، ينحت من بسيط الكلام جواهر فريدة. جواهر مطمورة، كبيوض الشّنار، «في المسافة القصيرة بين الزّهرة والحجر». شاعر يكتب «بأقلام مُـدوّرة»، و«حصاة الموت تحت لسانه». لا يصف لأنّ «الوصف هو الظلّ»، ولا يحكي لأنّ «السكوت هو الأصل».

* شاعر ومترجم فلسطيني

على الغلاف

أسمع غناءكم الخافت... وأسمع نحيبكم (*)

كيف لم نتنبَّه لذلك، سواءٌ كقرَّاء، عاديين، أو كنقَّاد أو كأصدقاء؟ كيف لم نتنبَّه إلى طغيان ثيمة الموت في شعر زكريا محمد؟ فهي لا تحضر فقط كجذر ثلاثي «م و ت» مع باقي مشتقاته المعجميَّة، وإنَّما في شكل صور يطلق عليها النَّاقد الفرنسي شارل مورون تسمية المجازات المستحوذة المؤسِّسة للأسطورة الشخصية. تكاد ترى الشَّاعرَ وقد اختار بضمير المتكلِّم أن يصوِّر نفسَه ثمرةً نضجت للسقوط أو ثمرة في منقار غراب، روحاً هائماً بين النباتات والأشجار وحالَّةً في حبَّات الفواكه. كيف لم ننتبه إلى أنَّ زكريا محمَّد، منذ 2014، صارَ مهجوساً بمواضيعه الشَّخصيَّة، في أجواء عرفانيَّة يغلب عليها انسجامه مع الطَّبيعة المحيطة به في رام الله؟ ابتعد شعره عن كلِّ لعبة شكلية أو الانحياز إلى قالب شعري معيَّن، بحيث تخففت قصائده من العناوين، كما لو أنها تحاول استجماع مطلَق، جوهريٍّ، يستعصي على أيِّ عنوان تسميته؛ مثلما تخلص من ثنائيات النثر/ الشعر، النظم/ التحرر من الوزن، وغيرهما من القوالب التي قد تأسِّرُ شلالات صوره الهادرة؛ ليصف ما يكتبه بالـ «المَقاطِع» فحسبُ. وإذا تخلَّص زكريا محمد سريعاً من الخطابة والنبرة العالية التي تميّز جل الشعر الفلسطيني، لأسباب موضوعيَّة تهم قضيتنا المركزيَّة، فإنَّه لم يكن أبداً بعيداً عن صوت الشارع وهموم شعبه، بنقاءٍ راديكاليَّة قلَّ نظيرها منذ موجات آمال وآلام الشعوب مع بداية 2011، ممَّا تسبَّب له في مضايقات بلغت حدَّ الاعتقال والتَّحقيق من قبل السلطة الفلسطينيَّة في رام الله؛ ناهيك بتصديه للبحث الأنتروبولوجي والقراءة في التكتيبات القديمة على الصخور لدحض ادعاءات الصهيونيَّة والاستشراق الاستعماري حول الإسلام المبكِّر وحول اعتبار فلسطين أرضاً توراتية للميعاد. فقدنا في جريدة «الأخبار» وفي القسم الثقافي خصوصاً، ركناً مهماً وصديقاً جميل المعشر؛ مثلما فقد العالم العربي شاعراً صافيَ القصيدة، بخَّاتةً مجدِّداً ومنقِّباً ومثقفاً من أنقى أبناء هذه الأمة. هنا مختارات من أعماله ونصوصه

تقديم واختيار رشيد وحتي

مختارات

*****

I. الجواد يجتاز إسكدار، 1994

1- الكوز

اكسر بعصاك
يا حبيبي
هذا الكوزُ الفخاري الهش: قلبي
أرق ماءه فوق التراب
أو ارفعه بيدك، يد الفلاح الخشنة، عالياً فوق رأسك
كي يتقطر ماؤه من بعيد في فمك
لكن حذار
أن تلمس بشفتيك فخاره الأحمر
فالموت
يا حبيبي
على فم الكوز
وفي ترابه المحروق.

■■■

II. أحجار البهت، 2008

1- المستقيم والدائرة

شجرة الخيزران تطلق ساقها
وتصعد به
لا يهمها الجذر
ولا الورقة
ولا المطر المتساقط
فكرتها هي السافي، هي الاندفاع إلى الأعلى
روحها عمود يصعد في السماء
لو كنت شجرة
لكانت فكرتي هي الدائرة لا المستقيم؛
أطلق سيقاناً تبدو كما لو أنها تخطط لذهاب
لا رجعة منه
لكنها تنحرف فجاة وتعود
من دون عودة تكون الحياة شجرة خيزران
حمقاء
تطلق أنابيب فارغة
ويكون الموت بلاهة كاملة.

■■■

2- انتحار

ليس لأكياس البلاستيك الفارغة أجنحة كي تطير
لكنها تحاول الطيران بإصرار
الطيران حلم كل الكائنات الأرضية
غير أن الياس لا الحلم هو ما يدفع هذه الأكياس إلى الأعلى
تنفخ صدورها بالياس
كما تنفخ ذكور ضفادع صدورها بالهواء
وتقفز كي تطير في السماء
يسقط أغلبها ويعلق بنبتات الشوك اليابسة
تمسك عيدان الشوك بالكيس وتحجزه، فيصيح: اتركوني
أريد أن أموت
أريد أن أرمي بنفسي من أعلى عمارة في رام الله!
والناس تظل هنا ترمي بالأكياس
رغم أن التي تنجح في الطيران منها تهوي، في آخر الأمر، مثل عقبان منتحرة على رؤوسهم.

■■■

3- العار

ارحموا الموتى
دعوهم لحالهم
هم، لو تدرون، لا يطلبون قرابين لأرواحهم
فليست لهم أرواح
ولا يريدون كلمات على شواهد قبورهم
فهم لا يقرأون
ما يعذبهم أنهم غارقون
في عار بدعى الموت
إنه يسيل منهم
كما يسيل المخاط من أنوف الصغار
إن كنتم تريدون عونهم حقاً
اتركوا لهم لفة من ورق المراحيض وراء الباب
سوف يأتون بعد منتصف الليل
كي يمسحوا بها العار الذي يقطر من جباههم ومناخرهم.

■■■

4- صفقة

في الحديقة شجرة مشمش ميتة
تركناها واقفة
ثم زرعنا أسفلها
نبتة متسلقة
فغطتها الخضرة
من الجذع حتى الغصن
والآن
خضراء شجرة المشمش
حتى في كوانين
وهنا جوهر الصفقة:
الموت أخذ الجذر والثمرة
ونحن رضينا بالخضرة الكذّابة.
2001

■■■

5- الأغنية المرحة

إذا بدأ صباحك بأغنية مرحة وساذجة
وحاولت أن تنساها
فعلقت بك وكررتها إلى ما لا نهاية
فخذ حذرك
لأن الأمر مقلق وخطير
فهذا بالضبط،
هنا،
تبدأ العثرات والنوبات القلبية والطلقات التي تصفر خلف الظهر
فما الأغنية الصباحية المرحة
سوى اللمسة الأخيرة في الكمين
آه، لا تستهن أبداً بأغنية الصباح
كما استهان قيصر بالنبوءة العابرة عن الخامس عشر من آذار المشؤوم
فالموت ذاته يكمن خلف هذه الأغنية.

■■■

6- الموت

الموت، أيضاً، لا نفع فيه
لأنه يقف بسكّته على رأس الثلم
ويصرخ ببغاله وبمضي:
ثلمه لا يتوقّف أبداً
وبغاله لا ترتد.

■■■

7- الم

ألمي إبريق
على طاولة
وعصاي ليست معي
لأهشمه.

III. كشتبان، 2014

حصاة الموت تحت لساني. لكنني أسمعكم.
أسمع غناءكم الخافت، وأسمع نحيبكم. لكن ما يؤلمني هو أن تتركوا أشياءكم على المنضدة. لا تتركوا شيئاً على المنضدة. فعيني ستعلق به. لا تتركوا حبة علكة حتى. فمن حبة علكة يمكن تخيل عالم بأكمله. وأنا لا أحتمل هذا. فلكي أتخيل عالماً، عليّ أن أصفه. وأنا لا أقدر على الوصف، فحصاة الموت تحت لساني. ولا تتركوا المبراة على المنضدة أيضاً. أقلامي كلها مدرومة. وأنا لا أريد أن أبريها، لأن الكلام محظور عليّ بعد أن وضعت حصاة الموت تحت لساني. يمكن لكم بالطبع ترك غزال من نحاس على النافذة. فهذا لا يقلقني. بل إنه ليعزيني أن أرى بخار الشتاء، حين يحل الشتاء، يتصاعد من أنفه، ولا يستطيع الموت أن يمنعني من البخار الصاعد من أنوف غزلان النحاس. ثمة شيء أخير: لا تقفلوا الحنفية. دعوها تقطر. الدبابير ستقف على فمها وتشرب. وحين تطير ستنثر بأجنحتها رذاذ الماء على وجهي. أنا أسمعكم. أسمع طنين أجنحة الدبابير في تواقدكم.

■■■

أفكر كلّ صباح بأن لا أنهض من موتي. لكنّ أمرين يكسران قَدَريّ: الكلب ونبتة الكبّار. على أن آخذ الكلب في جولة الصباح، وأن أشهد الموجة الجديدة لأزهار الكبّار. أترون؟ الأشياء الصغيرة هي التي تجعل الإنسان يفيق من الموت. وأنا ربطت يدي بطوق الكلب. ربطت زهرة الكبّار خيطاً على إصبعي، خيطاً على خصري. ولا كلمات عندي كي أصف لكم. الوصف هو الظل، والسكوت هو الأصل. أنت هو الأصل يا ظلك. أنا ظلك وظل النعناع. أقعد لك على الحجر منتظراً هبة من ريح نعناعك، ومنتظراً نهاية الصيف أيضاً. لكن الصيف يرسخ نفسه كأنه سيقيم هنا إلى الأبد. والمطر مجرد ذكرى يابسة لا تؤكل. غداً لن أنهض عند طلوع الشمس من فراشي. الكلب سينتظر طويلاً عند الباب، ولن يفهم ما جرى وزهرة الكبّار ستفلت خيطها الزهري عن إصبعي... غداً.

■■■

أستطيع أن ألدك لو أردت. أن ألد يدك وفمك. وأستطيع أن أخنقك بحبل السرة أيضاً. وأغرب ما حصل لي أنني ما زلت هنا. لم يكن هذا متوقعاً بالمرة. كان يجب أن أمضي منذ وقت بعيد. غير أن خنق الناس بالمناديل شغلني عن الرحيل. ويا لها من شغلة! أستطيع كذلك أن أقلب الأمر وأن أسقط من رحمك لو أردت. لكنّ تكرار الولادة والموت أمر قاس على قلبي. لذا أكتفي بعبور أنبوب من قصب الخيزران. الحياة أنبوب! الميلاد من هذا الطرف والموت من هذاك. والأمور تتعقد عليّ، وأخسر كل ما راهنت عليه؟ سارمي، إذن، زهرة النرد الأخيرة. وماذا يسمون من يرمي رميته الأخيرة؟ ليس له اسم؟ أنا سأسميه. اسمه فستقة. أنا فستقة، ويدي ترمي بزهرتها الأخيرة.

■■■

أنت رسالة في بريدي، وأنا لا أقتح رسائلي، لأنه لا أمل في أي بريد. وأنت أيضاً سكين في يدي، لكنني لا أقطع بها معصمي لأن الأرض تمجّ الدم. وأنت تريد جرّي بالمحبة إلى بيتك، مثل نملة تجر حبة قمح إلى بيتها. غير أنني أخبئ حبة قمحي في يدي، ولا أترك لعينك أن تراها، لأن المحبة أخت الموت.

■■■

كوّرت كفيّ وجعلت منها حفرة صغيرة. يمكن لي أن أجمع في هذه الحفرة ماء المطر وأن أبلّ شفتي. كما يمكن أن أخبئ في دفئها فراشة. لكنني اخترت أن تكون الحفرة عشاً للموت. أضع فيها كسرة خبز، وأنادي على الموت: تعال يا عصفور الموت، خبزتك هنا في كفي. تعال، حفرة صغيرة تكفي لي ولك.

■■■

أنام بلا ندم. أطفئ عينيّ كما تطفئ سيارة ضوءها، وأغطي نفسي وأنام. ولا تأتيني الأحلام لتنام مثل قطة تحت دفء قدميّ. كما لا تأتي الكوابيس أيضاً. الكوابيس تعني أنك هنا. وأنا لست هنا. أنا لم أكن هنا أصلاً. ولا يهمني أي شيء. لا الثلج ولا الشمس ولا الشفة التي تقطر عسلاً. يهمني فقط أن أعبر إلى النوم. وحين أصحو، فأنا أصحو فقط لأن «شاحنَ» النوم قد خلص. ثم أمضي النهار كله وأنا أشحن نفسي للنوم من جديد. النوم هو الفكرة الوحيدة التي أسيطر عليها. وهي فكرة تقترب من حدود الموت.

■■■

سأدعو الجميع إلى حفل الموت الكبير: الحصان، والنخلة، والكشتبان، والوتر الخامس للعود، والنهر الذي لم يسبح فيه أحد مرتين. كل هؤلاء سيحضرون. أما الحصان فسيقف على قوائم ثلاث، ويعلك شكيمه صامتاً. فالحصان هو الكائن الوحيد الذي يصدع راضيا بأمر الموت. إنه في الحقيقة صهوة الموت. ولكي نحتمل الموت سأجعل له ظلاً كظل الشجرة. فالشجرة تنشئ ظلها كي يتحمل معها عبء الوجود الثقيل. وسيعبر الجميع تحت ظل الموت: الريح والنخلة والنهر والوتر الخامس للعود. ثم ستصبّ الخمر- وسوف تكون وفيرة- ويقطع لكل واحد أكحله، ويشرب خمرته في كشتبانه الكبير، لكي يختلط الخمر بالدم، والدم بالخمر، ويدفقا معاً من الأكحل المقطوع.

ولن يفتقرّ أحد عن سنّ، فهذا نواح. فالنواح هو المعجزة الوحيدة التي بين أيدينا في حضرة الموت.

■■■

أريد أن أرحل بقدم حافية إلى الأرض البيضاء، أرض الثلج
الجلاجل ترنّ في سوالفي
الريح الصعبة تفكّ زنّاري
والبرص يأكل كفّي.
أريد أن أرحل إلى أرض الجنوب، أرض النار
الحريق يشعل رأسي الأجعد
الطبول تكسر قلبي
والفحم ينهش أصابعي.
لا، لا
أريد أن أموت في الاعتدال الخريفي
قبل أن تغور الثريا
وحين تسقط حبات المطر الوسمي
ثم...
يطوي العذاب جناحيه.

■■■

الرب يزرع باليمنى
ويحصد باليسرى.
الرب لا يزرع ولا يحصد
يترك الزرع للزارعين.
أما هو فيكتب ويمحو فقط:
يكتب باليمنى
ويمحو باليسرى.
ما من زرع ولا حصيد أصلاً.
الموت فقط يجزّ النواصي:
يسفع باليسرى
ويجزّ باليمنى
ويبكي.
الموت أمّنا، أمنا البكّاءة
تأكل، كالقطة، أولادها وتبكي.

■■■

الحياة درب
والأيام نخيل على جانبيه.
كل يوم نخلة ركبها في عراجينها.
لكن، لا وقت عند المسافر
للرطب الذي يتساقط مع كل هبة ريح.
فقد ضرب موعداً مع الموت
وهو يركض كي لا يفوته.
وكما تدرون
فمع الموت لم يعلك تمرة حلوة أبداً!

■■■

IV. علندى، 2016

لي صديق يأتيني في المنام، فأسأله: أين أنت؟ ولم غبت هكذا عني؟ فيبتسم ولا يجيب. ابتسامة فوق اللغة. وحين أراها يطمئنّ قلبي. لكن حين أصحو أكتشف أنه مات منذ ثلاثين عاماً. في كل مرة يحدث هذا. في كل مرة أكتشف موته من جديد. ليس ثمة موتى في المنام. ليس ثمة فقدان. ما تفقده في اليقظة تعثر عليه في النوم. من أجل هذا يظلّ النوم مُتعتي. هناك أناس يذهبون إلى النوم أسفين. أنا أمضي إلى النوم كأنني أعود إلى بيتي، كأنني أذهب إلى الحقل. لي صديق يجري مثل النهر. أنا على الضفة، وهو يتدفّق تحتي. لا أستطيع أن أوقفه، ولا أن أسبح فيه. إلى أين تمضي؟ أقول له. تعال نستيقظ معاً، تعال. حوّل مجراك كي يتدفق تحت عتبة يقظتي. لكن هذا لا يحدث أبداً. هناك رافد كبير يتدفق في نومي. بد النهار القصيرة تفشل حتى في أن تغرف لي غرفة واحدة من مائه، وتسقيني.

■■■

باكراً نوّر العيصلان. وفي بوعده قبل موعده. نوّرت عصا الخريف. أزرعوا في الطريق نخلة، وفي الحوض بقلة. فالموت سلالة ضعيفة. الموت خرافة. أنا في البستان والنخلة عمّتي. أنا على حصاني، والشمس عمّتي. لا تقولوا لي إن الخريف يولد أعمى. الخريف يبصر بعينيْ من ياسمين أزرق. واسمعوا الخبرية: حين يتأخر الخريف أحلّ أنا محله. فأنا كاهنه. أنا نافخ بوقه. بخاتمه أختم قطن الغيمة وصوت البمامة والزوبعة. أعدكم أنّ تشرين سيغسل بالمطر غروركم... أنه سيمسح بكفه ذلّتكم. نوّر العيصلان. نوّر الماء. نوّر شفتيّ. الليلة تُعطى للحبيب عصمته، وللعابد الحزين كعبته.

■■■

فتحت فمي، مثل موسى الطفل، ومضغت الجمرة. سوف ألثغ بعد اليوم بالحرف. فمي سيغلط باسم الزهرة، ويدي ستخطئ الثمرة. لذلك سأستند إلى الصرخات. لي صرخة طالعة من أعماق الكهوف. سأطرد بها الحياة والموت معاً. سأجري وراءهما كأنني أجري وراء ماموث. عيناي حيتان مترحّيتان. وشعري يتهدل مثل شعور الغيلان. آمنّ بالخبزة على الحياة، وآمنّ بالصرخة على الموت. وعند الشدة أكشف للسماء رأسي. الموت أرحم حين تسقط نجمة على رأسي. حين تكسر فأس رهيبة كأسي.

■■■

وضع رأسه على المكتب ومات. لم تكن هناك مقدمات. لم نسمع موسيقى غامضة تحذرنا بأنّ شيئاً ما سيقع. كنا نتسلّى بالكلمات المتقاطعة، ثم حدثت ضجة، فنهضت كي أبصر موته. على مكتبه كانت قطعة كعك، وفنجان قهوة. لكن لم يكن من أثر للموت. غير أنه كان ميتاً. ميتاً حد أنني خفت أن أناديه باسمه. بدا كما لو أنه فقد اسمه. الإنسان يتخلى عن اسمه عند الموت. يسلّمه كأنه عهدة في ذمته. مرتان يكون اسم الإنسان عدواً له: مرة عند الولادة، ومرة عند الموت. عند الولادة يكون قماطاً يقيده، وعند الموت قماشة تكفّنه. فكرت في أن أمسك بجمته، وأن أرفع رأسه، ثم أصفعه على خده كي يصحو. لكن كل شيء حولي كان يأمرني بالهدوء، ويجعلني أحتفظ بيدي في جيبي. ثمة سوء فهم عظيم بيني وبين الموت. حاولت مرات كثيرة أن أمد الحبل بيني وبينه، لكن شيئاً ما كان يقطعه. لم أستطع أبداً أن أبتلع الموت، وهو أيضاً لم يكن قادراً على ابتلاعي.

■■■

الزنبقة كيان ضار. لها وجود ثانٍ بين الرّصاص والزئبق. بين الكثافة وبين ما هو أكثف منها. جرّبت يوماً أن أصنع من اللغة رُقاصاً، وأن أجعل الزنبقة مثالاً. جرّبت أن أموت في حضن اللغة. لكنني تخلّيت عن هذا. اليوم ضريحي خارج الكلمات. أنا كائن هجين، ولي ضريح بقبّتين.

■■■

V. زرادود، 2020

أدرّت ظهْري للحقيقة، ومددْت يدي للعراجين. ولِمْت أذري إنْ كانت العراجين نَسْياناً أمْ ذَكْرى. إنْ كانتْ نَوْماً أمْ مَوْتاً. لكنّني مدَدْت يدي إليْها. مدَدْتها في أيْلول والشّمْس تَعْجن عجينها في قصْرها الكبير، وتَغنّي. كانت العراجين دوْماً كاهنَتي، وكانَ الشّعْر أقْتي. أمّا المَوْت، فسوْف أتْبعه حين ينْفخ شياعه كأنّني نعْجة في قطيع نعاجه.

■■■

قطعت الشّجرة، وهوتْ على الأرْض. صارتْ حطباً. لكنّ، حين أدرْت ظهْري ومشيْت كانتْ الشّجرة ما زالتْ خلْفي. وكان النّسْغ يضْعد كيْ يغذّي أغْصانها في الأعْلى. ليْس هناك فراغ في الطّبيعة. فالذّكْرى تمْلأ كلّ شيْء. ثمّة شجرة أخْرى بجذْع أشدّ صلابة مكان الشّجرة السّاقطة. هي شجرة الذّكْرى. ثمّة باب آخر للحياة لا يعْرف عنْه المَوْت، ولا يسْتطيع أنْ يأتي منْه.

■■■

أنا الغَرْ كتبْت مقْطوعة قصيرة. ثمّ لمْ أدْر بعْدها ما أفْعل. أردْت أنْ أغيب وأنْ أحْضر، أنْ أموت وأنْ أحْيا. الحيْرة مقْطوعة قصيرة، والنّهار أقْصر منْها. حبق على النّافذة، وحريق على وجْه الماء. وأنا غرْ، وألْكلْ يهْزءْ منْ كلماتي. ازْقفوا بي. لا تكْسروا صنم الصّلْصال الّذي غنّى لي، وغنّى منْ شفتي.

■■■

كأس الموت مليئة فوق الطاولة، والكل يدير وجهه عنها. غير أنّ الكأس الطافحة ستشرب في النهاية. سنشرب ثم تملأ من جديد. فحين يتّعلق الأمر بالموت ليس هناك كأس فارغة. كأس الحياة نصف مليئة نصف فارغة. أما كأس الموت فطافحة دوماً. وضعت يدي على الصخرة، فشربت الصخرة من دمي. وضعت فمي على ثقب القصبة فغنّت القصبة في فمي. وفي الحلم تعلّقت ببالون كبير أحمر، فصعد بي في السماء المُشمسة. صعد بي كما في قصص الأطفال. والمقصد: هناك بالون أحمر في السماء، وكأس مربع على الأرض. ومن هنا، من هذه النقطة، حلّق الصقر، وفي هذه النقطة كسر جناحه أيضاً. الله لا يعرف شيئاً عن هذه المعضلة، عن ألمنا الكبير وعن متعتنا. فرق كبير بيننا وبين الله. خرق كبير بيننا وبينه.

■■■

VI. ثمرة الغراب، 2022

صاح الموت: أنا من كسرت الإيقاع، وكتبت على الصخرة رجزاً لا يفهم.

■■■

لا يستطيع الموت أن يفتح قبضتي حين أغلقها، وهو لا يسكن كأسي، ولا كأس الزهرة.

■■■

أدخل إلى حوائط أصدقائي الموتى صباحاً، فلا أجد بوستات جديدة. لقد توقفوا عن الكتابة. وتوقف الجميع عن المرور على حوائطهم.
الفارق بين الحياة والموت هو البوستات. لذا لن أترك حائطي فارغاً عند موتي. سأكتب بوستات احتياطية تكفي لثلاثين عاماً أخرى على الأقل. وسأكتري أحداً كي يرمي على حائطي بوستاً أو بوستين كل صباح. فأنا لا أثق بالأبناء بهذا الخصوص. الإجراء خير من الأبناء. وسيظل حائطي منيراً مثل شرفة تطلّ على نجمة القطب. وهناك من يسألني: لكن ما الذي يفعله الموتى إذا كانوا لا يكتبون بوستات صباحية أو مسائية؟ يأكلون لهب الشموع يا صديقي. يفطرون على الشموع ويتعشّون. مثلاً: صديقي سمير سلامة تعشّى أمس خمس شمعات. التهم لهبها كما لو أنه عظّاءة. أما صديقي رسمي أبو علي، فقد أكل الضوء الفسفوري لخمسين يراعة. كان جوعاناً برداناً. فهناك فصل واحد في الموت: الشتاء. وهي تمطر وتمطر. المطر يرنّخ كل شيء: الوسادة واللحاف والكوفية والجراب. وفي السماء نجوم قليلة جداً. هناك على الأخص شمعدان كوكبة الثريا. لكن الموتى يصعدون السلالم كل ليلة إليه، ويلتهمون شمعاته السبع النوّاسات. أدخل إلى حوائط الموتى، فلا أجد أحداً مرّ عليها. ذهب الجميع إلى شؤونهم. ولم يبقَ إلا الصمت يمسح الزجاج بورق الجرائد القديمة، وإلا الريح تجمع بمقشتها أوراق التين اليابسة. لا أثق بالأبناء. لا أثق بالجينات. وعند موتي ساكتري عاملاً ينشر بوستاتي على حائطي. وستكون هناك قلوب حمراء على كل بوست. ولن أكون عظاءة تأكل الشموع ولهبها أبداً.

■■■

كلام الموتى أشد عمقاً من كلام الأحياء.

■■■

سوف آخذ الموت إلى شقّتي، واغتصبه. ليس لديّ مكان أنسب من هذا. وسوف أتحدث عن الموت حتى يُغمى عليّ. ليس هناك من طريقة أخرى عندي.

■■■

لا أريد أن أموت قبل أن يمتلئ رأسي بأسماء الزهور. سآخذها كلها معي. وإن سهوت عن واحدة فسأعود أدراجي، وآخذها.
سأجعل الموت مهرجان زهور وعطور.

■■■

هناك نسخة أكثر أصالة من كل شيء. هذه النسخة تدعى الذكرى. وهي تعبّر من باب سري لا يعرفه الموت.

● نصُّ الرَّحيل: آخر نص لزكريا محمد على صفحته الفايسوكية

قطعت علاقتي بالصيف نهائياً. لا أريد فواكهه جميعاً. لا أريد فواكه هذا الجحيم. حين يأتي في العام القادم سأحمل حقيبتي وأرحل إلى بلاد الشتاء والثلوج.

(*) عنوان المختارات سطر من ديوان «كشتبان» ـ 2014

ما الذي يفعله الموتى إذا كانوا لا يكتبون بوستات صباحية او مسائية

الأخبار
al-akhbar
الخميس 3 آب 2023 العدد 4976

صورة وخبر

يحظى الجنوبيّون بشواطئ عامّة وأقل تلوّثاً مقارنةً بمناطق لبنانية أخرى، يهربون إليها من القيظ ومن رسوم الدخول المدولرة إلى المسابح والمنتجعات السياحية. من «زيرة» صيدا إلى الزهراني وصور حتى الناقورة، ليس لمحدودي الحال سوى البحر، ملاذاً للتنزّه والهرب من الحرّ الشديد، والتلهّي عن الهموم التي لا تفارق اللبنانيين.

(علي حشيشو)

على بالي

أسعد أبو خليك

كاتبان لبنانيّان في جريدة «الشرق الأوسط» السعوديّة يقرّعان الشعب الفلسطيني برمّته لأنّه لا يُبدي اكتراثاً بمجريات الاحتجاجات في تل أبيب. اللبنانيّان ليبراليّان يمينيّان وشديدا التعلّق بالديموقراطيّة، فقط في الأنظمة التي تخالف المشيئة السعوديّة. إنها صدفة، ما علينا منها. سام منسّى يلوم الإعلام العربي على تجاهل «نقطة التحوّل في الديموقراطيّة الإسرائيليّة». ويخشى من «تقليص كبير للعمليّة الديموقراطيّة» في إسرائيل. نكاد نبكي حزناً وأسى. وحازم صاغية يتحدّث بإعجاب عن هؤلاء الإسرائيليّين «الذين يخوضون معركة الديموقراطيّة في مواجهة الحدّ الشعبوي منها». وهو، مثل منسّى في الجريدة السعوديّة نفسها، يلومُ الفلسطينيّين على عدم اكتراثهم بما يجري. لكن لماذا يكترث الشعب الفلسطيني؟ الموقف من الإصلاحات القضائيّة لا يعني العرب بشيء. القضاء الإسرائيلي، منذ إنشاء الكيان، كان الأداة التي سوّغت وأسّست لبناء نظام الأبرتهايد الإسرائيلي. جرائم الحرب الإسرائيليّة حظيت على مرّ السنوات بدعم من القضاء. والمعركة الجارية في إسرائيل هي بين يهود إسرائيل، تماماً كما كان البيض في نظام الأقليّة البيضاء في جنوب أفريقيا يختلفون فيما بينهم حول إدارة شؤون البيض وحول أفضل الطرق للسيطرة على العرب. وموضوع السيطرة على العرب تحت الاحتلال ليس موضوع نقاش في إسرائيل وقد جرت محاولات عدّة لنزع العلم الفلسطيني من قبل محتجّين في التظاهرات الإسرائيليّة كما أنّ أصوات رفض الاحتلال (وكانت نادرة في الاحتجاج) كانت تُقمع. ومن المفارقات أنّ هناك في الإعلام العربي من ينقل مُعجباً أخبار اعتراضات الجهاز الأمني على نتنياهو أو رفض ضباط الاحتياط الخدمة احتجاجاً. هل يريد الكاتبان اللبنانيّان منا أن نبدي تعاطفاً مع الذين جمّدوا قيامهم بغارات جويّة على منازل فلسطينيّة لأنّ الإصلاح القضائي لا يروق لهم، ومن منظور يهودي صهيوني محض؟ هذه مثل الذين يقولون إنّ الاسرائيليّين تظاهروا بعد صبرا وشاتيلا. لا، تظاهر بعضهم بناءً على خلافات بين الصهاينة أنفسهم وعلى أساس حزبي، وخصوصاً أنّ أخبار المجزرة أضرّت بالمصلحة الدعائية لإسرائيل. المثل اللبناني بليغ هنا حول ما يجري في إسرائيل: فخّار يكسِّر بعضه.

مفكرة

رالف الحاج
سجل الحروب الثلاث

في 10 آب (أغسطس) الحالي، يستضيف «بيت بيروت» (السوديكو) معرضاً فوتوغرافياً للفنان رالف الحاج (الصورة)، بعنوان Chronicle of Three Wars. يضم المعرض المستمر لغاية 30 آب رسومات رقمية وصوراً ونصوصاً تصوّر عن كثب تجربة الحاج الشخصية وخواطره حول ماضي لبنان العنيف. البداية مع صور التقطها الحاج لمنزله المحطّم جرّاء انفجار مرفأ بيروت قبل ثلاث سنوات، إلى جانب ذكريات جدة الفنان عن مجاعة الحرب العالمية الأولى، والتوقّعات حول العنف المستمر في تاريخ لبنان المعاصر.

* افتتاح معرض Chronicle of Three Wars: الخميس 10 آب 2023 ـ س: 17:00 ـ «بيت بيروت» (السوديكو).

«مهرجان الشوشان» في زحلة:
رسم وشعر ومسرح وطرب

ضمن فعاليات «مهرجان الشوشان» السنوي الأول الذي يستضيفه مركز Do-maine de Chouchene ، يُقام معرض «عين» للشاعر والفنان التشكيلي أدهم الدمشقي (الصورة)، في 11 آب (أغسطس) الحالي. يضم المعرض ثلاثين لوحة عرضها الدمشقي بعد انفجار مرفأ بيروت في ثلاثة معارض، هي: «عنبر»، و«عبيط»، و«عصفو». تناول فيها اضطراب ما بعد الصدمة، وتظهر فيها شخصية «غودو» الشهيرة (كلبة) مصابة باضطرابات نفسية. وتتخلّل الحدث أمسية شعرية. موسيقية يحييها المغني السوري ملهم خلف، بمشاركة الدمشقي بمشهدية شعرية موسيقية مُمسرحة. وعلى خطٍ موازٍ، يستقبل المهرجان في 13 آب «جوقة العمر» بحفلة زجل بمشاركة شربل كاملي، وناجي أبو عساف، وميلاد ضو، وشربل بو أنطون، وإيليا مرهج. وبعد يومين، يحين موعد ليلة المسرح والموسيقى من تقديم «مركز منارة السلام للإبداع»، ثمّ أمسية فنية يتخللها عرض مواهب موسيقية مختلفة في 16 آب. وختاماً، يحيي المغنيان أنس صباح فخري وكريستال نور الملاح سهرة طربية في 18 آب. وبحسب منظميه، يهدف «مهرجان الشوشان» إلى «تعزيز الثقافة في منطقة زحلة من خلال نشاطات متنوعة فنية، أدبية وموسيقية».

* «مهرجان الشوشان» السنوي الأوّل: بين 11 و18 آب 2023 ـ قب إلياس (زحلة ـ البقاع). للاستعلام: 81/371160

«أخطبوط» المرفأ على «أفلامنا»

في مناسبة الذكرى الثالثة لانفجار مرفأ بيروت التي تُصادف غداً الجمعة، تعرض منصة «أفلامنا»، بدءاً من اليوم الخميس، فيلم «أخطبوط» (2022 - 64 د). يُحاكي الشريط الوثائقي آثار الفاجعة في سياق وأجواء «هادئة». حيث يصوّر المخرج اللبناني المقيم في نيويورك، كريم قاسم (الصورة)، المباني المدمّرة والحطام ويأس السكان، وأولى محاولات إعادة إعمار المدينة بعد أضخم كوارثها. علماً أن العمل فاز قبل عامين بالجائزة الأولى لبرنامج «تخيّل» في الدورة الـ 34 لـ«مهرجان أمستردام الدولي للأفلام الوثائقية». وقد لاقى ردود أفعال متباينة، إذ هناك من رأى فيه صوراً مختزلة مقارنة بتعقيد الواقع المعاش.

* فيلم «أخطبوط»: بدءاً من اليوم الخميس على منصة «أفلامنا» www.aflamuna.online

الأخبار al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين

مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الأوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com